الشعراوى

بين السياسة والدين



سعيد

الفتح للإعلام العربى


بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر: دار الفتح للإعلام العربي
المكتبة : ٣٢ ش الفلكى - باب اللوق
ت : ٣٥٥١٠٧٣ فاكس ٢٦٠٦٦٧٥
جميع المراسلات باسم محمد السيد سابق

سناء السعيد

الشعراوى بين السياسة والدين

الفتح للإعلام العربى

مقدمة

الداعية محمد متولي الشعراوي بدا للبعض وكأنه لغز من الصعب فك طلاسمه. الرجل يتمتع بجاذبية خارقة تشد إليه الأخرون وتزيد عدد مريديه.

فكره اثار جدلاً لدى الكثيرين.. وفى الوقت نفسه جلب نحوه الكثيرين يرتادون ساحته ليشرح لهم باسلوبه السهل الممتنع آيات الكتاب الكريم يحدثهم عن أمور حياتية.. يعيش معهم فى حوار دافئ وتواصل بين الطرفين. يتحدث بجرأة وصراحة يحسده عليها أقرانه.

عندما عُين وزيراً للاوقاف فى مصر قال يومها فى مجلس الشعب «إعتبرونى وزيراً فى دوله غير مسلمه ومجتمع يُدير أموره بالفهلوه». وإعتبر يومها أنَّ مهمته شاقه وأنَّه أشْقى خلق الله.

فهو على حين ينُسب إلى الإسلام يعيش على حد قوله فى دولة غير ملتزمة بنظام السماء ولهذا كان يردِّد دائماً إنَّه من الحتمى أن تكون حياته مُلفَّقة.

إنَّ الرجل بسيط فى مظهره. عميق فى مخبره.. أسلوبه يخلو من الديباجات التقليديه القديمة. تراه فيبهرك قوله ويؤسرك منطقه وتتسْلل إليك تفسيراته وشروحه بكل بساطه ويسر.

للشيخ الشعراوى حضور نافذ يتسلل إلى قلبك ونفسك فيبعث فيها دفء الايمان. كلماته ترسم أمام المرء طريقاً مجلواً صافياً نابضاً بالخير والحق. كل هذا فى سلاسه لفظ وجزالة منطق وتسلسل سرد يستحوذ على القلوب. يملك أسلوباً فى الدعوة جديداً مُلْهماً موحياً.. ويملك الموهبه فى توصيل وتأصيل أية

معلومـة للسامع من خلال جلسـاتة وعبْر محـاوراته. تستمع إلى مـصطلحات كثيرة متعددة هى نتاج فكره.. العقل المبرر، خميرة الإيمان، دين التدبير.

الرجل يكره السـياسـة والسبب أنَّه يعـيش فى رحابة فكـر الله سبحـانه وتعإلى أمَّا السياسة فدوامة صراع بين فكر البشر.

هذا الكتـاب يضم سـتـة حوارات أجـريتهـا مع الداعـية الكبـير الشـيخ الشعراوى يعرض فـيها إلى موضوعات وقضـايا كثيره، معظمها قـضايا جدليه أثارت لغطاً. يتحدث عن الإسـلام كعقيدة وشريعة وأخـلاق وفلسفة ونظام.. يتحدث عن الحكم كمسئولية وتكليف.. علماء الدين يجب أن يقودوا بدلاً من أن يحكموا.. يتـحدث عن الشباب.. عن ظاهرة قـيام الجماعـات الدينية فى مصر.. اسبابها ومن الملام فيها ؟

يتحدث عن الـديمقراطية وكيف يمكن للإنسـان أن يُبعد نفسـه عن شهوة الحكم؟ وسر التكالب على الحكم. يتـحدث عن اسرائيل.. القـدس..ا لفرقه العربية.. جمـاعات حقوق الإنسان التى تنتقد تنفيـذ السعودية لاحكام الاعدام بدعوى أنَّها ضد حـقوق الإنسان. يتحدث عن الإستنـساخ ووسائل الإعلام.. يتحـدث عن الإخوان المسلمين ويـتحدث عن جـمال عـبد الناصـر والسادات ومبارك.. يتحدث عن المرأة..

سناء السعيد

(١)

شهوة الحكم

◆ عمر بن الخطاب حكم نفسه أولاً فحكمت له.

◆ الحكم مناط تكليف لا يطيقه المرء... إنَّه ضنك لا أطيقه ولا أتحمله.

◆ يجب ألاَّ يطلب المرء الحكم وإنما يُحمل عليه حملاً.

◆ يجب أن يكون الترشيح من الغير حتى نُسقط عنه شهوة المغنم والحكم والقيادة.

◆ إذا كانت الدعوة تفتقر اليوم إلى الدعاة البارزين فإنَّ الشيخ الشعراوى يتصدر اليوم طائفة الصفوة من الدعاة العلماء.. منهجه فى الدعوة يرتكز فى الاساس على كتاب الله وتفسيره.. ولديه القدرة الهائلة على مخاطبة الجماهير مهما تنوعت مستوياتهم الثقافية. لديه ملكة تأصيل الوقائع الحية تأصيلاً عقلانياً منطقياً. أما الغاية من وراء ذلك فهى الوصول إلى قلب المؤمن وتحريك خميره الإيمان لديه....

◆◆ظاهرة قيام الجماعات الدينيه التى مرَّت بها مصر تحدو بنا إلى أنْ نتساءل ما هى الاسباب وراء إنحراف هذه الجماعات عن الجادة. وما هو المناخ الذى يجب أن يُهيئ لها حتى لا تنحرف عن الجادة.

■ عادة الوليد الذى ينشأ فى جو غير طبيعى لايُمكن أن نُوجِّه له أى لوم فيما إذا أصبح غير طبيعى. ذلك أنَّنا لانستطيع أن نفصل الأحداث عن البيئة التى ينشاء فيها الحدث. غير أن اليقظات الإسلامية القوية لم تجئ من فراغ وإنما جاءت بعد أن وجد القائمون بها أنَّها تُشكِّل ضرورة.

◆◆بماذا تُقدَّر الضرورة هنا؟

■ تُقدَّر بمدى فهم أصحابها لما يحيط بهم. فالسلطة المطلقة مفسدة مطلقة.

◆◆ماذا عن العنف الذى عكسته هذه الجماعات؟ من الملام تحديداً؟

■ يجب أن نلوم الدوافع نفسها التى أدَّت إلى قيام هذه الحركات. الدوافع لم تكن طبيعية بل هى رد فعل لانحراف بلغ من الجموح والشراسة مبلغاً لا يمكن أن يقاوم إلاَّبالشدة. وإذ ا كان كما يقال لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى

المقدار ومضاد له فى الاتجاه فيجب أن تتحمل بعض المجتمعات الإسلامية تطرف هذه الحركات التى قد تظهر عبر فترات زمنية حيث قد يكون الداعى لها أيضاً متطرفاً. هذا التطرف قد يكون ناشئاً فى الاساس عن استفزاز للعواطف ولا يعتمد على إية مقاييس منطقية .

◆◆ ولكن ما هو تفسيركم لهذا التطرف والذى يدفع هذه الحركات إلى أن تتجاوز الحد المطلوب. إننا نرى من لديه قدر من الدين أو ما نُطْلق عليه خميرة الدين إذا رأى شيئاً يخالف فهمه يحدث فى نفسه تلقائيا شئ من الاشمئزاز ثم يتحول ذلك إلى مواجيد قد تُؤرِّق صاحبها ثم لا تلبث هذه المواجيد أن تتحول إلى نزوعيات والتى لا يمكن أن نُجردها من تأثير الانفعال العاطفى مما يجعلها أحياناً تتجاوز الحد المطلوب لذات الدين.

■ ولكن مثل هذه الحركات اليوم لاتتلاءم والعصر. فعلى حين كان يمكن فى الماضى لحركه ما أن ترتكز فى ظهورها على إنفعالات أناس يؤمنون بمبدأ من المبادئ ثم يثيرون فى غيرهم الحماس لهذا المبدأ ـ أن تنجح غالباً لقدرة اصحابها وفاعليتهم على التاثير فى الآخرين واحتوائهم فإن هذه الحركات اليوم غالباً ما تفشل.

◆◆لماذا لا تنجح مثل هذه الحركات الأن فى تغيير المسار؟

■ العصر الآن يقف حائلاً دون نجاح مثل هذه الحركات. بل إنَّه يُشكِّل صعوبه تحول دون ظهور هذه الحركات وترعرعها. والسبب أنَّ الهوة فى الماضى بين الحاكم والمحكوم كانت ضعيفة جداً خلافاً لما هو سائد الأن. كانت الهوة بين حرص الحاكم على استتباب النظام وتمرد المحكومين على النظام هوه ضيقة. كانت الهوة تنشىء بين الاداتين. . أداة الثورة فى يد من يثور وأداة القمع فى يد من يُثار عليه.

◆◆ما هو الفيـصل فى الحكم على جماعة دينيـة بالتطرف من عدمه. ومن يحكم بهـذا هل هم علماء الدين أم القـيادة السـياسـية؟

■ القيـادة السيـاسية يجب أن تُنـحى نفسهـا عن ابداءالحكم فى هذا الذى تشيرين إليه. ولو كان لهـا فكر إسلامى فى هذا الموضوع تقتنع به وترى وجوبه لطبقته فى حكمها وهذا يكفى. ومن ثم يجب أن تُسْتبعد من إبداء الحكم على أية جمـاعة دينيـة بحيث يؤخـذ الحكم من علماء الـدين أى من نبعه الـصافى المُجمع عليه شريطة ضمان حيادهم.

◆◆كيف يمكن لنا ضـمان حيـاد هذا النبع وضمان الأيتـوسّط فى تبريرات للنظام؟

■ المحايد هو الذى يريد لهذه الحركات أن تسير مسارها الطبيعى.

◆◆ مـا هو الـدور الذى تضطلع به الحـكومـات التى تقـوم ضـدها هذه الجماعات

■ يجب على الحكومـات إعلان الإسلام منهـجاً لحكمهـا وذلك بأنْ تأخذ الأمور المجمع عليهـا والتى لا خلاف فيها وتتنحى عن الأمور المخـتلف فيها. الحكومـة مطالبة بأن تطبق منطق الإسـلام. إذا كانت الحكومـة قد اسـتطاعت السيطرة على أمتـها بالمحافظه على نظام ارتضته ولو كـان بشرياً فمن باب أول يمكنها تطبيق الإسلام منهجا فى أمتها .

◆◆ قد يتساءل المرء ما الذى يجعلنى أثق فى أى عمل حكومى؟

■ الثقة تتـبدّى بمجرد أن تعهد الحكومـة بكل شئ للإسلام. بمعنى آخر أن تأخذ فـى حكمها بـكل الأمور المتفـق عليهـا. وبعد ذلك لا مانـع فى الأمور المختلف فيـها أن تأخذ بوجهـات نظر أخرى تساير نظام الحكم. أمـا ما يزعزع

الثقه فهو معاداة الحكومة للأمور المتفق عليهـا وحينئذ تسلب منها الثقة وساعتها اتساءل. من الذى يحكم؟

إنَّ الفيصل بينى وبين الحكومة هو أن تحكم بما أنزل الله سبحانه وتعإلى. هناك مسائل معلومة من الدين بالضرورة ومعلومة لدى الجميع ولا يختلف أحد فيـها وهذه هى التى أطالـب الحكومة فيـها بتطبـيق منهج الله. وهناك مسـائل أخرى مُـعرَّضة لأنْ يحـدث فيهـا خلاف فى وجهـات النظر ولابأس فى هذا. وهنا أتسائل هل أخذت الحكومة بما هو معـلوم من الدين بالضرورة ومتَّفق عليه بلا جـدال. وأنَّ الفـجوة التى نشـأت بينى وبينـها بعـد ذلك هى فى المسـائل المُعرَّضة لأن يكون فيها خـلاف؟ أم أنَّ الفجوة بينى وبين الحكومة قد نشأت فى الكل؟ فاذا كان الخـلاف حول الكل دلَّل على أن الدولة غير جادة وغيـر راغبة فى الأخذ بمنهج الإسلام

❖❖هل ترون أن المنطق يدعونا أحياناً إلى النظر فـيما تدعو اليه بعض هذه الجماعات لبحثه ورؤية أبعاده؟

■ يمكن أن يحدث هذا لمعرفة حقيقـة ما تدعو اليه هذه الجماعات من فكر وكم الاختـلاف والاتفاق حـوله. وهذا هو الذى يحدد بالتإلـى فيمـا إذا كانوا خارجين على منهج الله أو غـير خارجين. مـثلاً إذا جاءتنى جـماعة إسلامـية تسألنـى رأيى فى مجتـمع يُحلِّل الربا سـأقول لهم بصراحـة إنَّه مجـتمع غـير إسلامى. أمَّـا أذا جاءت جماعـة وأرادت أعتزال العمـل كلية والتفرغ للعـبادة فعندئذ سـأقول لاصحـابها بأنَّ هذا ليس من الإسلام فى شئ. صـراحتى هنا مرتبطة بالمواقف. فلا يُمكن أن اتشـبَّث بـ«لا» لمجرد الرفض الدائم وإلا ضمنى هؤلاء إلى فئة معارضيهم وساعتها لن يُقْبل منى أى توجيه أو رأى أبديه. علىَّ أن التزم الصراحة معهم. أقـول للمحق أنَّه على حق وأقول لغير المحق أنَّه على

خطأ. أمَّا المبدأ الرئيسى الذى يجب أن يعلمه الجميع فهو أنه يجب ألا يكفر المرء من يخالفه حيث أن هناك أشياء كثيرة تركها الله سبحانه للإجتهاد وهذه هى المسائل الخلافية التى يمكن أن تتفرَّع إلى أكثر من وجة نظر.

◆◆ ذهب البعض إلى أن السبب وراء ظاهرة التطرف قد لا يكون دينياً وإنما يرجع فى أساسه إلى أسباب اجتماعية وسياسية وعلى رأسها الكبت السياسى الذى يعانى منه الشباب. ما هى وجهة نظركم بالنسبة لهذا التقييم؟

■ مثلما لا أعفى أى حركة إسلامية من أن يُوجد فيها أناس مخلصون لفكرة الإسلام فإنى لا أعفيها من أنَّ الإسلام قد يتخذه بعضهم موجة تُركب للحكم. وعليه أقول من أراد تبرئة نفسه من شهوة الحكم فعليه ألاَّ يُطالب به بل على العكس يُعلنها صريحة من أنَّه لا يريد أن يَحْكم وإنما يريد أن يُحْكم بالإسلام. لو أنَّه قال احكموا أنتم يا حكام لأَسْقط من يد خصمه الدعوة القائلة بأنَّه يريد أن ينتزع منه الأمر. ومن هنا فهو يقول للحاكم: دع الأمر فى يدك شريطة أن توجهنى إلى منهج الله سبحانه وتعالى. حين يفعل المرء ذلك يكون قد أسقَّط حجة خصمه. أما إذا جاء وتشبَّث بأن يحْكم خاصة فى الحكومات التى ترتكز على نظم عسكرية سيضيع الأمر من يده فالحكومات العسكرية معها القوة التى تحميها والرأى الذى يساندها. أما هو فحتى لو كان معه الرأى فلن تكون معه القوة التى تحميه. ذلك أنَّ عدم تكافؤ الفرص هنا يخل بالتوازن بين رأى الحاكم و رأى المحكوم .

◆◆ معنى هذا أنه من الخير لأصحاب الدعوة إلى الإسلام أن يوفروا على انفسهم شراسة هذا النضال؟

■ هو هذا. إذا أرادوا حماية الإسلام حقاً وأذا كانوا مخلصين للدعوة فعليهم أن يتطلعوا لأن تتحقَّق الدعوة سواء على يده أو على يد غيره. ومن ثم

علينا أن نراجعه إذا تشبَّث بفكرة أنَّ الخير لن يتحقَّق إلاَّ على يديه. هنا نراجعه حيث أنَّ كلامــه يؤدى إلى فجوة لا يقدر عليها. بل إنَّ إخـلاصه للدعوة يزداد قوة كلما بعد عن تطلعات الحكم . وحينئذ يقول للحاكم: يا سيدى الفاضل أنا أرتضيك حـاكماً فاحـكمنى أنت بالإسلام. بهذا يكون قـد أنصف لأنَّ الدعوة ستنتفع بقوة الحاكم وستنتشر .

◆◆ فـيم أذا لم يحكم الحاكم بالإسـلام مـا الذى فى وسع المرء عندئذ أن يفعله؟

■ لا يدِّخر وسـعاً لتوعـيته ونصحـه وينبهه فى كل لحـظة كى يحمى دينه واسلامه فى كل مناسبه إسلامية بأن يُطبِّق مبدئاً من مبادئ هذا الدين إننى أدعو دعاة الحركـات الإسلامية الحقيـقية أن تُبرِّئ نفسهـا من الطمع فى مغنم الحكم الذى من أجله تساق له تهمة قلب نـظام الحكم .فصاحب الفكر الإسلامى هو الرابح حينئذ إذا ترك الحكم للحاكم .

وعليه أن يستْثمر خير الحاكم ليـشيع الإسلام ويقوى ويستغل قوة الحاكم فى صالح الإسـلام بدلاً من أن يُجْبره على أن يسـتخدمـها ضده وضـدَّ دعواه بدعوى المحافـظة على حياته. إن رغبـة الداعى فى الحكم تمنح الحاكم وتضطره إلى أن يدافع عن نفسه وقد يؤدى هذا إلى سفك الدماء.

كان الماضى يختلف عن الحاضـر. كان الحاكم إذا فشل تنحى عن الحكم بـساطه ولزم الظل. الـيوم أخـتلف الأمر ولهـذا وجب على دعـاة الحركـات الإسـلاميـة طمأنة الحـاكم فى أنهم لا يتطلعـون إلى إستـلاب الحكم منه وإنما يتطلعون إلى أن يحكمهم هو بالإسلام فهذا أقْصى المراد.

◆◆ فى بعض مجتمعاتنا الإسلامية تتمي/ًز فترات الإنتقال وتغير الحكام بالعنف وسفك الدماء خلافاً لما نرى عليه الحال فى الدول الغربية؟

■ الصورة فى المجتمعات الغربية تختلف عنها فى بعض مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة. فالإنسان فى المجتمع الغربى له دور والحاكم إذا خرج من منصبه ومن الدور الذى يضطلع به فإنه آمن على نفسه وحياته.

أما فى مجتمعاتنا الإسلاميه فالأمرعلى النقيض من ذلك. بمعنى أنَّه لايأمن على حياته إذا خرج من منصبه ولم يعد يمارس دور الحاكم. ومن هنا يأتى دور الصراع وسفك الدماء والعنف فى محاولة من قبل الجميع الدفاع عن شرعية الوجود ضدَّ شراسة الخصم .وهذا القلق هو الذى يدفع الحكومات إلى تبنى شراسة مناهضة حتى لا تضيع هباء منثوراً .فهى معركة تتطلبها فترة الشرعية الثورية التى يجب أن تسود فى فترات عدم الاستقرار. وهنا يكون الحاكم مرغماً على أن يدافع عن سلطاته بكل ضراوة وبكل ما هو مشروع وغير مشروع.

أما بعد أن تستقر الأمور ولا تجد الحكومة مناوئاً لها فهنا تنتقل من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدينية.

◆◆ قد يقول القائل بأن هذا ليس من الإسلام فى شئ؟

■ المنطق لا يحكم العملية هنا. ذلك أننى إذا طالبته بتحرى العدالة فى هذا الوقت الذى يضيق عليه الحصار من قبل خصومه المتربصين له يكون طلباً غير منطقى. إذ قد يطول عليه الأمد مع خصومه وقد يُؤخذ على غرة منهم وهم يقفون له بالمرصاد.

◆◆ أومن أجل هذا يُقال أن هناك فجـوة بين الرأي العام الإسلامى وبين حكام الدول الإسلامـية، الذين يجنحون فى الاغلب إلى حكم يصـادرون فيه الديمقراطيه؟

■ الديمقراطية مُهدَّدة ومصادرة فى كل مكان وليس الأمر قَصْراً على دول العالم الإسلامى.

◆◆ المجتمعات الاوربية يختلف فيها الأمر؟

■ ومن أجل ذلك نراها مستقرة لأنَّ غـاية ما يُصاب به الحاكم أن يذهب إلى الظل. ولكن فى بعض مجتمعـاتنا يذهب الحاكم إلى القبر وهذا بسبب أنَّ هذه المجتمعات ليست إسلامية إسلاماً حـقيقياً؛ إسلامها إسلام جغرافى.. أى وفْقاً للتقسيم الجغرافى.. إننى اتساءل عن مصر كدولة وأقول ما هو المطبق من الإسلام فيها؟ لا يُوجد إلا بعض قوانين للأحـوال الشخصية وحتى هذه دخلت فيها الاهواء لأنَّ القوانين التى أخذوا عنها لا تحْوى أحوالاً شخصية.

◆◆ كـيف يمكن لـنا الخـروج من هذا المأزق والذى يُمـثِّل فـجـوة بين الحكومـات الإسـلاميـة والرأى العـام الإسـلامى؟

■ يمكننا الخروج من المأزق بتنحـية الشهوة.. شـهوة الحكم تحكَّمت فى الفرد. وتنحيتـها عنه هو العلاج الأمثل لكل شئ. ولهذا نجد حـكمة التشريع الإسلامى فى أن من يطلب شيئاً لايأخـذه. فمن يطلب القضاء لا نمنحه إياه.. ومن طلب الولاية منعناه عنها. هو لا يدرى كم الجهد والتعب الذى سيُبذل من أجل هذه الولاية. وهو لا يطمح فـيها إلا لكى يقـود. ولو أنَّه قدَّر مـتاعبـها حقيقـة ما طلبها بل ولسارع بالتنحى عنهـا إذا ما أُسندت إليه. ويكفى المرء إذا جاءت له مصادفة أو سقطت عليه أن يسأل الله أن يعينه عليها.

◆◆إذا كـان الأمر كـذلك فمـا هو تفسـيركـم إذن للتكالب على شهـوة الحكم؟

■ لأن الناس وجـدت فى الحكم إنطلاق النفس. وجـدت فـيـه تقـييـداً للمحكوم وإنـطلاقاً للحاكم. ولكن لو أنَّ الحـاكم أيضاً كـان مقيـداً لأختلفت الصورة وعادت كما كانت عليه فى صدر الإسلام.

◆◆ كيف وقد قيل إنَّ عمر بن الخطاب قد حكم الدنيا؟

■ هذا لم يحدث. عمر بن الخطاب حكم نفسه أولاً فحُكمت له .عندما أراه يرتدى مـرقَّعـاً ولا يأكل إلا القليل فـحينئـذ سأطلب العـون له من الله. وساعتـها إذا جاء من يعرض عليَّ الحكم سـأستعيذ بالله فـهو مناط تكليف لا يطيقه المرء. فلا أستطيع أن أفعل مـثلما فعل عمر رضى الله عنه. إنه ضنك لا أطيقه ولا أتحملـه. أما اليوم فالأمر يختلف ولهـذا أرى ضرورة حرمان المرء مما يشتهى. فإذا رشح الإنسان نفسه لأمر من الأمور يجب ألا ننتخبه.

◆◆هذا يتمـشى وسنة الطبيعه نفـسها وحكم الإله فى أن يشتـهى الإنسان أمراً فـلا يأخذه ولا يحصل عليه. كـما لو أن القدر يشـفق عليه من مغبـة ما يشْتهى ويريد؟

■ من أجل هذا أقول يجب ألاَّ انتخب من يُرشِّح نفـسه لأمر من الأمور. يجب ألاَّ يطلب المرء الحكم وإنما يُحْمل عليه حملاً.. يجب أن يكون الترشيح من الغير حتى نُسقط عنه شهوة المغْنم والحكم والقيادة..

* * *

(٢)

العصروالتشريع

◆ الشورى غير ملزمة للحاكم!

◆ الأمـر الذي أبرمـه الله لا شـورى فـيـه.. ولكن الشـورى في الأمور الخلافية فقط

◆ عبارات الديكتاتورية والديموقراطية مستوردة ولا حاجة لنا بها

◆ الاسلام للتدبير لا للتبرير والتشريع الالهي لا يخضع للزمن

◆ المفروض في الشعب الإيماني أنه عندما يختار الحاكم يضع في ذهنه أن رأيه سيكون مرجحاً في أية قضية.

❖هنا فى هذا الحوار يتحدث الشيخ «محمد متولى الشعراوى» عن الإسلام كدين ومنهج للحكم تتضاءل امامه أية نظم سياسية وضعية اخرى ومن ثم يرفض أصلاً مصطلحات كالديمقراطية والديكتاتورية. إذ أن الإسلام كمنهج مطبق يغنينا عن كل هذه المصطلحات المستوردة. وفى الحوار يتمسك الشيخ بوجهة نظره من أن الشورى غير ملزمة فى الأسلام. فهى قد تكون ملزمه فى أمور إجتهاديه يتفرع عنها تعدد فى وجهات النظر. أما منهج الله سبحانه والذى يجسد أمورا معروفة من الدين بالضرورة فلا إلزام للشورى فيها ولا حكم إلا حكم الله وحده سبحانه وتعإلى.

الشيخ الشعراوى لا يعترف بما يطلق عليه روح العصر. فالعصر لا يشرع. ولو أننا نزلنا إلى مستوى العصر لضاعت الأمور وانتفى التشريع الالهى. والمفروض أن يرتفع الفرد إلى منهج السماء لا أن يهبط بمنهج السماء إلى الأرض.



❖❖ هناك دعوى يرفعها البعض من أن بعض المجتمعات الإسلامية تعيش ما يمكن أن نطلق عليه «الديمقراطية الرخوة » أو «الديموقراطية الموجهة» ما السبيل إلى إسقاط الحوائل كي نصل إلى ديمقراطية فعالة حقيقية؟

■ إن الديمقراطية التى تتحدثين عنها هى فى الاساس مصطلح مستورد .وأى مجتمع إسلامى حقيقى يطبق منهج الإسلام وشرع الله لا يحتاج إلى استيراد هذا اللفظ ولو كان لها إسلام حقيقى ما أخذت به أو بغيره بل إن كلمة الديمقراطية التى تعنى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه لا تتمشى مع الواقع فى

الإسلام .

فوفقا للاسلام لا يحكم الشعب نفسه بنفسه لأن الجميع محكوم لواحد خلاق وهو الله سبحانه وتعالى. فليس هناك من يحكم وإنما كلنا عيون لتنفيذ المنهج. ولا يملك أحد منا شيئاً. وعندما نقرأ كتاب الله نفهم هذا. ففي معرض الحديث عن ملكة سبأ وقصتها مع سيدنا سليمان نرى أنها تبينت أن سليمان لا يبغي دنيا بعد أن رد هديتها وقال: «فما أتاني الله خير مما أتاكم». عندئذ ذهبت إلى المسلمين وأسلمت. وعند أسلامها لم تقل أسلمت لسليمان وإنما قالت، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين. أي لا غضاضة في أن أكون مسلمة طالما أن هذا ليس لأحد إلا الله الذي جاء بهذا الكلام. فالجميع هنا يخضعون للأعلى وهو الله سبحانه وتعالى.

◆◆ ذكرتم من قبل بأن الشورى في الاسلام غير ملزمة. فهل لا تزالون عند هذا الرأي؟

■ نعم، لا لشئ إلا لأن ولي الأمر لا يشاور في حكم صادر عن الله تعالى وإنما يشاور في حكم ترك الله لخلقه أن يجتهدوا فيه على أي وضع شاءوا فهنا يمكن لأي وضع أن يكون جائزا. أما الحكم الصادر من الله فلا مشورة فيه حيث أنه سبحانه تولاه كحكم أصلي ولم يجعل لي رأياً فيه. ومن ثمّ فإن أي وضع أرتأيه كبشر بالنسبة للحكم الالهي يكون باطلاً.

◆◆ ولكن ماذا بالنسبة للأمور الاجتهادية. ألا تلزم الشورى فيها؟

■ ولي الأمر الذي يسمع الشورى أن يأخذ بها أو لا يأخذ وذلك لأننا خولناه هذا لحق عندما بايعناه ووليناه الأمر. فولاية الأمر لا تمنح في العادة إلا لمن يصون حقها وكلمتها. فأنا لا أمنح الولاية في العادة إلا لمأمون عليها

◆◆ كيف يمكن للمرء إختيار من يؤتمن على الولاية؟

■ أثناء البيعة استطيع أن أميز بين فرد وآخر. وهذا لابد أن يتوافر فيه الدين والعدالة. ومن ثم يجب ألا أغفل هذه الحيثيات كضرورة عند إختياره. وبعد ذلك أعهد إليه بالأمر بوصفه المرجح النهائي. قال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾

أي أنه يسمع المشورة التي تخير له ثم يختار. فالأمر الاخير له يقرره. وهذا لابد أن يكون في ذهنية من يبايعة حتى لا يعطي الولاية إلا لمن يستحقها.

◆◆ فاذا انحرف بعد البيعة؟

■ سأل عمر بن الخطاب هذا السؤال للمسلمين فقال: ماذا تقولون لو ملت برأسي هكذا. فقال واحد من المسلمين: والله لو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيوفنا. فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في أمة عمر من يقومه بسيفه.

كما أن سيدنا أبو بكر قال: أطيعوني ما أطعت اللّه ورسوله ـ وإلا فلا طاعة لي عليكم . . ومعنى هذا أن الحاكم الاسلامي الذي يبايع على أنه إسلامي تصبح مهمة الشعب بالنسبة له هي مراقبته وذلك للوقوف على ما إذا كان سينفذ حكم اللّه أم لا. وعليه فيجب أن يبايع الناس المرء الذي يعتقدون أنه سيلتزم بولايته ويكون حكمه وفق تشريع اللّه. وبذا لا يضعون هذه الثقة إلا فيمن يأتمنونه على مصالحهم ودينهم . .

◆◆ ألا يكون التقويم إلا بالسيف؟

■ هذا أقصى شئ ولكن بداية التقويم يمكن أن تكون بنشر الوعي . .

بالكلمة الحقة . . بالتنبيه والتحذير. إن الذي يجعل الأمور تختلط في العالم الإسلامي إننا أمة مهروسة النظام نستورد قوانينا من الخارج وننسى أن الدول الأجنبية معذورة عندما تعتمد على هذه القوانين لأنها لا تملك منهج السماء لكي يحكمها. وهنا لا يوجد رأي أولى من رأي. فكل أمر لابد أن يكون بالشورى. وهنا تسود الديمقراطية في ظل الرأي والرأي الآخر إلى أن ينتهوا إلى رأي يتم الاتفاق عليه. الأمر يختلف بالنسبة لهؤلاء الذين أفرغوا كل أختيارهم في إختيار دين يؤمنون به لآله حكيم قادر. فان الأمر الذي أبرمه الله لا شورى فيه. الشورى تتأتى في الأمر الذي تركه الله مبهما. نتشاور لكي نصل إلى رأي نتفق عليه وعندئذ تكون الشورى غير ملزمة للحاكم بشئ.

◆◆ إذن فضيلتكم مصرون على أن الشورى غير ملزمة؟

■ مادام ولي الأمر قد تم إختياره بناء على قاعدة إسلامية فإنه يصبح هو الفيصل. بحيث تطرح أمامه الآراء وله أن يختار. بدليل قوله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾. إذن لا يكون للشورى مجال إلا في أمر ترك الله فيه الحرية لرأي الانسان.

◆◆ إذن ما قيمة الشورى ونحن نعلم أن الرسول ﷺ قد خضع لها في أحرج المواقف في غزوة أحد عندما نزل على رأي المسلمين.؟

■ لا نقول خضع لها وإنما ارتضاها. وطالما أنه سمع المشورة فإن وزنه لها هو المرجح. ولذلك سأله بعض من كانوا معه: (أهذا منزل أنزلكه الله أم هي الحرب والمكيدة. أي هل هذه المسألة فوقية من عند الله أم رأي بشر فقال لا. ليست مما انزله الله وعندها أشاروا عليه بما يفعل. ولو أن الله أنزلها ما كان لأحد أن يشير بشئ.

◆◆ هذا يعني أن المشورة تنتفي مع وجود النص الصريح؟

■ تماما المشورة تكون مقبولة في الأمور التي ترك الله فيها باب الاجتهاد مفتوحاً ولهذا قال الرجل للرسول عليه السلام: إذا كان الله أنزلها أمسكنا وإذا لم ينزلها وكانت تتعلق بالحرب والمكيدة فنحن نرى كذا وكذا فهنا عرض الأمر على ما كان عنده وماقيل له فوجد أن الأخير هو الأصوب.

◆◆ أياً ما كان الأمر فقد كانت النتيجة النهائية في هذا الموقف إلتزام الرسول بالشورى رغم معارضته الخروج للقتال بادئ الأمر ولكن كما رأت أغلبية المسلمين الخروج للقتال إلتزم الرسول برأيهم وجعل المشورة فوق رأيه؟

■ الشورى تتبدى في أمر ترك الله الحكم فيه للمسلمين لأنه أمنهم عليه وأمنهم على أن يبحثوه. حتى إذا ما أنتهوا فيه إلى أي أمر أخذوا به. أما أن أجعل الشوري فيما لله فيه وجه فهذا هو الباطل بعينه. وعليه فأنا أستاء كثيرا عندما يقولون بأننا نعرض القوانين الشرعية على مجلس الشعب ليقرها أولا يقرها. تقنين الشريعة الإسلامية يتعثر لإننا نأخذ رأي البشر في منهج الله. المهم تنفيذ الشريعة لا تقنينها. قد استفتى أهل الذكر حول هل ننفذ ما شرع الله أم لا؟ أو بمعنى آخر هل نحكم بشرع الله أم لا نحكم؟

◆◆ هل من حق أهل الذكر - أيا ما كانوا - أن يستفتوا في هل شريعة الله يحكم بها أو لا يحكم بها؟

■ طالما إما بأنها شريعة الله فلا رأي لأحد ولكن يمكن أن يستفتي هؤلاء في هل نحكم بشريعة الله أم لا وهنا نحن لا نأخذ رأيهم على دين الله وأنما نستفتيهم على هل نحكم به أم لا.

◆◆ إذن أين نجد في الاسلام حق الشعب في أن يحكم نفسه بنفسه ما دامت مجرد الشورى غير ملزمة؟

■ لأن المفروض في الشعب الإيماني أنه عندما يختار الحاكم يضع في ذهنه أن رأيه سيكون مرجحا في أية قضية. ولذا وجب عند الاختيار أن أختار من هو أهل للحكم.

◆◆ ولكن قد يفهم البعض مما أجملتموه فضيلة الشيخ الشعراوي أنه يعني عزل الشعب عن المشاركة في الحكم بعد أن يختار الحاكم. وهذه هي الديكتاتورية بعينها. فهتلر مثلاً اختاره الشعب الألماني ولم يكن أحد يشك قط في إخلاصه لوطنه المانيا. ولكن عندما أنفرد بالرأي والحكم هوى بشعبه إلى أبعد من الحضيض وألقاه في جحيم الهزيمة القاتلة؟

■ مشاركة الشعب التي تتحدثين عنها غير واردة لأن الحكم أساسا يأتي من اللّه. مصطلح الديكتاتورية هذا يتواجد عندما تُخضعين رأي بشر لبشر ولكن لا ينطبق على إخضاع البشر لله، فخضوع البشر لحكم إلهي إيمان لا ديكتاتورية. إن عبارات الديكتاتورية والديموقراطية كلها مستوردة من الخارج ولسنا في حاجة لها. المسألة إما أن أؤمن أو لا أؤمن فإذا أمنت بإله قوي قادر غير محتاج لطاعتي وجب على أن أنفذ أوامره. ومع الإيمان بالله ينتفي خضوع إنسان لهوى انسان آخر.

◆◆ هذا رائع. ولكن هل يمكن في العصر الحديث أن تعيش أمة حياتها السياسية في ظل شورى غير ملزمة؟

■ كما قلت الشورى في الأمر الخلافي الذي لا يوجد للّه حكم فيه. وربما كانت الشورى عند البشر ضرورية إذا وردت في إطار رأي البشر فهنا لا يمكن أن أفرض عليك رأياً دون أن أشاورك. فهنا الشورى ملزمة.

◆◆ معنى هذا أننا إذا أخذنا الشورى كنظام سياسي للحكم تكون ملزمة؟

■ كلمة نظام سياسي يجب أن نبعدها عن نقاش الدين. إننا نقول نظاما إسلامياً. لأنك عندما تقولين نظاما سياسياً سينصرف النظر إلى فكر البشر في حكم البشر.

◆◆ السلطة في العادة مفسدة؟

■ من يحكم يكون محكوما بمنهج الله قبل أن يحكم الناس.

◆◆ إذن ما هى ضمانات الشعب و كيف يشارك فى حكم بلده وحفظ مصيره؟

■ الشعب لا يشارك فى الحكم. ولكن ينفذ الحكم لأن الأمر بالحكم أصلاً ليس من الحاكم وإنما من ربه وهو الله سبحانه وتعالى فالكلام ليس فى النظرية الحاكمه وإنما فى تطبيق النظرية الحاكمة .

◆◆ هناك من يردد بأن الشورى غير ملزمة ألا يعنى هذا إتهاما للإسلام بالعجز عن تمكين الأمم من حقوقها السياسية الكاملة؟

■ حين أؤمن بأن لى إلهاً فوقيا فإنى أترك زمام التشريع له لكى يعصمنى من هواى وهواك. إذن عندما يأتينى التشريع من السماء لا أكون فى حاجة إلى أى تشريع آخر. ويجب أن نرتضي ذلك. ولهذا عندما يكلف الله سبحانه وتعالى لا يقول: ياأيها الناس وإنما يقول. (ياأيها الذين أمنوا). أى يا من أمنتم بى إلها حكيماً قادراً أنا أقول لكم كذا وكذا وكذا .وعليه فإن الأمر الذى يعلم أنه نجم عنه فساد فيما إذا أختلف عباده فيه ينص صراحة عليه حتى لا يجعل

لعقلك ولا عقلى مجالا أما الأمــور الأخرى التى يأتى الخير من أى وجه فيتركها للمؤمنين يتدبرون فيها أمرهم ويتشاورون .

◆◆ وافقتم أن هناك مـجالا للاجتهاد فـى أمور كثيرة يكون الحكم فـيها للبشـر. فـما مـوقف الشـورى غـيـر الملزمـة أنئـذ وهل نسـتطيع أن نقـول إن الديموقراطيـة السياسـية القائمة فـى عصرنا هى الشورى كـما يعنيهـا الإسلام؟

■ كل ما يمكن الرد به على هذا أن الإسلام ما جاء ليبرر التصرفات وإنما جاء ليدبر الأمر فـهو للتدبير لا للتبرير. ولا يمكن أن تفعلى كل شئ لتـعرضيه على الإسلام لتبريره.

◆◆ تعلمون فـضيلتكم أن الإجتهـاد يسرى فى كل الأدلة الشرعيـة ظنية الدلالة. أمـا قطعيــة الدلالة من قرآن لـم ينسخ ومن حـديث متـواتر فـذلك لا اجتـهاد فـيه. والنصوص الظـنية الدلالة كثـيرة جـداً ولكثرتها حـدثت المذاهب الاربعةالفقهية على كثرة مادتها واتسـاع رقعتها وغيرها من المذاهب ايضاً. كما تعلمون فضيلتـكم أن شئون الحياة البشرية كـثيرة ومتجددة وأن أغلبهـا سيؤخذ من دين الله لمن أرادو الحكم بـشرع الله من الـنصـوص ذات الدلالة الظنيـة التى أجتهد فيها الائمة الاربعة فأثروا الإسلام بالفقه الإسلامى الواسع والعميم وعن طريق الاستنبـاط والقيـاس. فمن حق الأجيـال إذن أن يكون لهم أو على الاقل لأهل الذكر مـنهم رأى مسمـوع ومشـورة نافذة.ولكن ترك الحكم لفـرد واحد تأباه طبائع الأشياء وحقائق الدين؟

■ ليس فى القرآن شئ اسمه قطعى الـدلالة. القرآن قطعى الثبوت ظنى الدلالة. والسنة ظنية الثبوت قطعيــة الدلالة لأن السنة جاءت لتبين منهج القرآن وقد قلنا إن الامور التى يفـسد بها المجتمع أخـذ الله زمامها من يدنا جمـيعاً . وأورد فيهـا الحكم صريحاً وواضحاً ولا يـحتمل الجدل. أما الأمـر الذى يسير

على أكثر من لون فقد تركه الله مبهماً. بمعنى أنه ترك لنا أختيار أى لون نشاء. الآفة أن ينزل الناس الأمر الذى أنزل الله فيه حكمه - والذى لا يحتمل جدلا - منزلة ما يختلفون فيه. كأن تاتى بموضوع الربا وتجعليه محل نقاش من البشر أى تنزلينه منزلة ما يختلف فيه. لقد حدد الله سبحانه الامور التى يفسد بها المجتمع تحديدا لايقبل الاجتهاد بينما ترك الباب مفتوحا للاجتهاد فى الأمور محل الخلاف. ولهذا فإن أى حكم لله فيه نص لا إجتهاد فيه لأنها مسائل محكمة. ولهذا أقول لهؤلاء الذين يتحدثون عن الربا فى إطار العصر. العصر لا يشرع فلو إننا نزلنا إلى مستوى العصر لضاعت الأمور وإنتفى التشريع الإلهى. والمفروض أن يرتفع الفرد إلى منهج السماء لا أن يهبط بمنهج السماء إلى الأرض. ولهذا فأنّ من يضعون عنوانا لبحثهم: يجب أن نعيش عصرنا. نقول لهم: لا وإنما يجب أن نعيش ديننا.

◆◆وبماذا يفسر كون الإسلام دين كل زمان ومكان؟

■ هذا يعنى أنه ما من حكم أنزله الله يتعارض مع الزمن. ولكن ليس معناه أن الإسلام يخضع للزمن فليس الزمن مشرعا .

◆◆ولكن طبائع الأشياء ضد الجمود؟

■ هذا بالنسبة لرأيك ورأيى لا للرأى الألهى الجمود معناه أنك عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء. فكان أن قنن الإنسان الآن على ما يعرف وغاب عنه ما لم يعرف. ويأتى الزمان فيدفعه إلى أن يبحث ليعرف أما الأمر بالنسبة للاله فيختلف. فكل ما رآه الأله يعرف مساره ولا يمكن أن يستدرك عليه برأي.

*   *   *

(٣)

الحكم المعضلة وتسييس الشباب

◆ أنا غير راض عن الأوضاع المغلوطة والمعايير المقلوبة فى المجتمع !

◆ من أراد تطبيق الحكم الاسلامى فليبدأ بنفسه أولاً!

◆ على علماء الدين الابتعاد عن «شهوة» الحكم!

◆من سخرية القدر أننا نقوم بتكريم العمل.. بالحصول على عطلات!

◆ويتحدث الشيخ متولي الشعراوى هنا عن الإسلام كنظام. . يتحدث عن الحكم كمسئولية وتكليف لا أبهة وتشريف. . ويعارض مبدأ تسييس الشباب ذاهبا إلى أن تربية الشباب سياسيا وإقامة التكتلات الطلابية لا يتفق مع واقع الحياة ومتطلباتها . مؤكدا أن سياسة الدولة يجب ألا يضطلع بها إلا من نضج وصقلته التجربه حيث لا يمكن أن أتوجه للأطفال المعجزه لأطالبهم أن يأتوا ويجربوا فى أمستهم. ويرى أن علماء الدين يجب أن يقودوا بدل من أن يَحكُموا. وعلى عالم الدين أن ينحي نفسه عن شهوة الحكم ويتطلع فقط إلى أن يحكم بالإسلام. ويؤكد بأن السبب فى فشل أكثر من حركة إسلامية هو أن القائمين عليها أرادوا أن يحكموا. .

◆◆ الإسلام كنظام سياسى.. إلى أى حد أمكن تبنى الإسلام كمنهج سياسى للمجتمع؟

■ ما المقصود بالسياسة؟ إن السياسة إدارة حركة الحياة. . فأنا كإنسان وفرد أدير حركة الحياة فى نفسي . .ورب الأسرة يديرها فى أسرته. . وحاكم الأقليم يديرها فى إقليمه. . والحاكم العام يديرها في دولته .وإدارة هذه الحركة تتطلب أن تكون هناك سياسة وأن توضع أصلا لكى تدار. . وهنا نتسائل من الذى يضعها؟ المفروض فى الحاكم ألا يعمل بنفسه. . وإنما يختار من يعمل ويراقبه. ولهذا فيوم أن تاتى الحكومة لتضطلع هى بالعمل نقول لها أنت فاشلة. الحكومة التي تتكفل بالمبانى أو بشى السمك وقليه تكون حكومة فاشله

لأن الحكومة يجب أن تختــار من يعمل لها وتراقبه . .لأنهــا عندما تعمل ستعــمل بجهاز وهذا الجهاز سـيعمل للأخرين . . فـلا يمكن أن يقال أن إنسانا يعمل لنفســه يساوى فى إخلاصه إنسانا يعمل لغـيره . يجب على الحكومة أن تدع كل فرد يعمل لمصلحته بحيث يكون مدفوعا للعمل بحب نفسه ولو حدث هذا ما ظهرت الرشوة وإستشرت وما إنهارت العمارات . . إن العمارات تتصدع وتنهــار لاننى أنا لسـت البــانى . . كـمــا أننى لا أجلب الحـديد أو الأسـمنت ولاإشرف على الـرمل أو الكم أو النوعيـة - لأن غيرى هو الذى يـشرف وهو المنتفع ولهذا شـتان بين فرد يبنى بنفسه وآخر يشـرف مقاول على بنائه، وثالث يشرف على البناء مقــاول من الحكومة. فالأول سيجيــد ولن يوخذ منه شئ أما الثالث فستتعدد المصافى وسيكثر الأستغلال وعدد المنتفعين . .

◆◆ هذا يحـمل ضمـنا وصراحـة تشـجيـعا وإعـلاء للقطاع الخـاص بل وتغليبه على القطاع العام ويستشف منه تنحية القطاع العام على أساس أنه ملئ بالشــغـــرات والمثــالب؟

■ إن فيــه حثا عــلى القطاع الذاتى بحيث يتكفل كل بعــمليتــه. ولهذا عندما أقحمت الحكومة نفسها وتدخلت فى أرزاق الناس وتصنيفهم وفق أن هذا لديه وهذا ليس لديه ترك الله لهم العملية بأكملها لـيتحملوها كلها . . من أخذ ما ليس له حمله الله ماليس عليه.

وأتسائـل من قال بأن دولة متـخلفة فى العــالم الثالث مــارالت فى بدء المحاولات لكى تنـهض تشرع بمهمـة توظيف كل أفرادها وتأخـذ على عاتقـها تعليم الأغلبية بالجـامعة. إننا ننسى أن من يتعلم بالجامعــة فى الولايات المتحدة يدفع الكثير حتى يمكن له ذلك.

◆◆ هذه دعـوة ضمنيـة إلى قصـر التعليم الجـامعى على فـئة قـادرة على تمويل تعليمـها - بل إن ما أوردتموه الأن دعـوة تحريضية ضـد مجانيـة التعليم؟

■ هذه ليست مـجانية - فلو أننا حـسبنا ما تدفعـه الأسرة على الدروس الخصوصية لأولادها لوجدناه يساوى عشـرة أمثال ما كانت تتكلفه الدراسه يوم أن كانت بمصـاريف - فدعونا من نفاق الجـماهير ولنشرع فى عـلاج مثل هذه القضايا بروح جـديدة - ذلك أننا إذا لم نعالج المسائل بوقفة صريـحة وواضحة فإن الأمـور ستزداد تفـاقما ومشـاكلنا ستتـراكم. لقد حـسبنا العطلة فى الدولة فكانت ١١٤ يوما - من سخرية القدر أن اليـوم الذى نحب أن نمجد فيه عملا نأخذه كعطلة أى أننا نمجد العمل بتركه. .

◆◆ ورغم هذا فكل يدع الأمور تسير كيفما اتفق؟

■ نعم والأثار تتراكم. . وكل يسـوس عمره إلى أن ينفد ويتـرك المسائل معلقة فيما بعد لمن يظل على قيد الحياة كى يعانى الأمَرِّين.

◆◆ مـعنى هذا أنكم غـير راضين عـمـا يسـود واقعنا الـيوم من أوضـاع مغلوطه ومعايير مقلوبة ومفارقات مضادة؟

■ غير راض عن الكثير .

◆◆ نقطة الصراع بين الإسـلام والعصرية فى التفكير الـسياسى - والتى ينظر إليها البعض على أنها أحد الأسباب لعدم الأستقرار؟

■ التفكير السياسى صراع فكرى بشرى لفكر بشرى - فليس هناك فكر بشرى أولي من فكر طالما نحكم بأنفسنا - ولكن حينما أخضع أنا وأنت لمن هو أعلى منى ومنك فـهنا لن تكون لديك غـضاضـة ولن تكون على غـضاضـة

خاصة وأن من نتلقى منه - باتفاقنا كمؤمنين - أعلى منى ومنك - ومن ثم يوم نخضع له لن يقال أننى خاضع لك أو أنك خاضعة لى. فكلانا خاضع لاله أعلى .

◆◆ هذا لا يمنع من وجود جزئيات يخضع فيها المتلقى إلى فكر بشر مثله؟

■ الفكر البشرى يكون فى الأمور التى ترك الله لنا أمر التفكير فيها بشريا. بمعنى أننا لا نقترب من أمور حسمها الله باحكام. . أما الأمور التى لم يحسمها الله باحكام فقد أباح لنا أن نفكر فيها بشريا. .

◆◆ حتى فى الأمور التى أباح لنا الله فيها أن نتبع فكرنا البشرى فإن الحكم تحول إلى معضله؟

■ ما يرهق ويتعب الآخرين أن طائفة تريد أن تحكم طائفة. . دولة تتطلع إلى حكم دولة. . ولكن عندما يثبت أنه لا أنا ولا أنت نريد أن نحكم ينتهى الأمر وتصفى القلوب وتطمئن. فالله هو الذى يحكم. وعليه يكون الحكم تكليف لا أبهة وتشريف وترفيه وعنجهية فالحكم متاعب ومسئوليات ومهام جسام. .

◆◆ فى محاولة تهيئة الانسان للحكم وإعداده تمهيدا للاضطلاع به قد ينظر وجوب خلق الكوادر الجديدة وتربيتها سياسيا أو ما اصطلح بتسميته تسيس الطلبة؟

■ تربية الشباب سياسيا وإقامة التكتلات الطلابيه لا يتفق مع واقع الحياة ومتطلباتها. فنحن نتعرض لإرهاق وكد فى محاولة منحهم منهجا لاستذكاره والنجاح فيه - فكيف بمن لا يستطيع أن يسوس أمور نجاحه فى بعض المواد أن نأتى لكى نسيسه ونطالبه بأن يتحدث فى سياية الدولة؟

أن هذا محض هراء. ذلك أن سياسة الدولة يجب أن تكون قاصرة على قوم نجحوا بالفعل فى حياتهم الخاصة ونضجوا وصقلتهم التجربه فحق لهم بالتإلى أن يضطلعوا بمسئولية الأمه. فلأن الفرد منهم قدجرب فى مسائله الخاصة ونجح- فإننا نطالبه بأن يحمل مهمة أمته ويقدم لها بعض الخير. فهو يضطلع بالمهمة بعد أن وصل إلى حد الإشباع فى الشهوة والأهواء والنزعات.. وبعد أن وصل إلى الشعور بأنه قريب إلى الله فكل هذا يصبح عاصما له من أن يزل أو ينحرف. ومن ثم لا يمكن أن أتوجه للأطفال المعجزةلأطالبهم بأن يأتوا ليجربوا فى الأمة. إننا نقول لهؤلاء جربوا فى حياتكم الشخصية أولا، فإذا نجحوا وجرب الإنسان منهم بأمانة فى مسائله الخاصة - حينئذ وفقط يمكن أن أئتمنه على المسائل العامة وأطالبه بعد النضج أن يتوج حياته بخدمة أمته. فثمار نضجه وتجاربه لا بد أن يمنحها لأمته.

❖❖ هذه دعوى صريحة لرفع الأيدي عن تسييس الطلبة واقحامهم في مجالات العمل السياسية وما يطلق عليه تربية الكوادر السياسية الجديدة؟

■ لا يمكن أن آتي للشباب منذ البداية لأقول له إنني سأتعهد بتعليمك وفي الوقت نفسه أقوم بتسييسك.. كيف هذا وهو لا ينجح إلا بصعوبة؟ كيف يتأتى له التفرغ والنجاح في مسائل أخرى أكبر وأكثر أهمية بالنسبة للمرحلة التي يعيشها حينئذ؟ إن اللجوء إلى تسييس الطلبة هو ضرب من تملق الشباب ومنافقته ويجب أن نبعد عن هذا لأنني إن فعلت سأوقع الشباب في المحظور وسيعاني منه الشباب كثيراً على المدى البعيد. من السخرية أن نتطلع إلى تسييس الشباب في الوقت الذي قد أرى فيه شابا في الخامسة والعشرين أو الثلاثين ومازال يتعلم.. أي أنه مازال طفلاً يمد يده لوالده لكي يحصل على مصروفه. بمعنى أن طاقته مضيعة مهددة من سن الثالثة عشر ختى الخامسة

والعشرين. . فكيف أشغله بتيارات أخرى؟

◆◆ ولكن قد ينظر إلى التسييس بوصفة أحد المجالات التي تلبي طموح الشاب وتصقل ذاتيته؟

■ الطفل كأي ثمرة من الثمار حين يبلغ نضجه تصبح له ذاتيه - وهي التي يجب أن تستغل أولاً - بمعنى أنه إذا تطلع إلى طموحات ما فلا بد أن يشقى من أجلها ويتعب ويستوفي شروط الحصول عليها ليستحقها بجدارة - فلا يمكن أن أعهد اليه بمهمة أمة وهو خواء وفراغ.

◆◆ ما دمنا بصدد الحديث عن الحكم أتساءل ماذا عما يردده البعض من دعوى مفادها أن علماء الدين يجب أن يقودوا بدلاً من أن يحكموا؟

■ إن مبدئي دائماً يتركز في أنني أريد أن أُحكَم بالإسلام - ولا أريد أن أحكُم. فعندما يأتي عالم الدين ويقول هذا يتبين لنا اخلاصه في دعوته. فكأن الإسلام لديه أمين في أن يدير الكون ويدبر ما فيه. أما اذا حدث العكس وتطلع عالم الدين إلى أن يحكم فهنا تكون شهوة . . وهنا نقول له لا . .

وعليه الا ينسى أن الشهوة - شهوة الحكم - قد تكبت وتحصر وتحاصر. لأنه من البديهي أن من يملك الحكم لا يريد ولا يسمح لأحد بأن يستولي عليه. ولهذا ستثار العقبات في طريقه وهو في حل عن هذا كله. وعليه فمن اراد الصالح العام من هؤلاء - اعني علماء الدين - نحى نفسه عن شهوة الحكم وتطلع فقط إلى أن يُحكَم من غيره الإسلام.

◆◆ هذه دعوة إلى أن يربأ عالم الدين بنفسه عن الحكم؟

■ نعم. . بل ان السبب في فشل أكثر من حركة اسلامية أن القائمين

عليها يريدون في الحـقيقة أن يَحْكُموا لا أن يُحْكَمـوا بالإسلام. وهؤلاء حري بكل منهم أن ينأى بنفسه عن الحكم وعن أن يمسك بمقـاليده فلم يعد هناك من يملك المجـابهة بالنسـبة لأي حـاكم كان ـ ولذا علينا أن نطلب من الحـاكم أن يحكمنا ونحاول أن نحتويه. .

◆◆ مـعنى هذا أنه لا خـوف على الحـاكم من أن يرتـدي ثوب الحكم الإسلامي؟

■ بالطبع لا. . لأنه أن أراد حـقاً أن يطبق الحكم الإسـلامي فعلـيه أن يطبقه أولاً على نفسه. حين يفعل ذلك فلن يجد له أحد من رعاياه تميزاً له في شئ. وبالتالي لن يتطلع أبداً إلى أن يكون حاكماً، طالما أن الحاكم غير متميز. فإذا غاب التمـيز والتفرد للحاكم بالنسـبة لرعيته غاب المحرك للأطمـاع بالنسبة للحكم. فعندما يتطلع المرء العادي فيرى الحـاكم ومن حوله من حاشية يرتعون في ترف وبذخ يتطلع بدوره إلى أن يكون حـاكماً. ولكن عنـدما يتطلع فيـجد الحاكم شقياً بالحكم سيبعد عنه ويطلب من الله سبحانه وتعإلى أن يعينه ويأخذ بيده على ما هو فـيه. ولهذا عندما يقال أن عمـر بن الخطاب قد حكم الدنيا ـ نقول لا لم يحكم الدنيـا وإنما حكم نفسه أولا فـحُكِمَت له الدنيا. كان عـمر أجل من أن يجامل قـريباً له ـ إنما كا ن يجامل الناس لا لإتصـالهم به أما أهله وعشيرته فكان يقول لهم: نويت أن أفعل كذا وكـذا فمن خالفني فيه فسأجعلنه نكالاً للمسلمين.

لقد وقف عمر ليخطب قائلاً: اسمعوا واطيعوا.

فإذا بواحد من الحـاضرين يقاطعه قائلاً: لا سمع ولا طاعـة. فقال: له عمر: ولـم؟ قال الرجل: ثيابك أطول من ثيابنا. . وهنا نظر عمر لابنه عبد الله وقال له قم لتـتحدث. فقال عـبد الله: أبي رجل طوال فأعطيتـه ثوبي فوصله

بثوبه. وهنا قال الرجل: الآن نسمع ونطيع.

وهذا يعني أن السمع والطاعة واجبة حينما يجد المرء أن الحاكم ليس متميزاً عنه في شئ. بل على العكس متعب ومرهق وشقي بالحكم الذي يضطلع به.

وهناك قصة أخرى أسوقها.. فلقد جاء رجل ورفض الا أن يأكل مع أمير المؤمنين ظناً منه أن موائد أمير المؤنين تختلف عن موائد العامة وأنها عامرة بأشهى الأصناف ـ فترك الرجل الناس تأكل الثريد والبعير.. وانتظر هو ليأكل مع أمير المؤمنين.. كم كانت دهشته أن وجد على مائدة أمير المؤمنين القديد وبعض الخل.

فشخص مثل هذا رأى ما عليه الحاكم لا يمكن أن يفكر في يوم من الأيام أن يصبح حاكماً. وبالطبع سيتغير الأمر لو أنه رأى الحكم ترفاً ورفاهية. وعليه أقول حين يأتي الحاكم ويكون اسلاميا حقيقياً فهو لا يخشى شيئاً البته.

◆◆ مهمة الحكم تظل تكليفا بمسئولية شاقة وتبعة جسيمة بل أن الحاكم مهما انصف وعدل قد لا يسلم في النهاية من اللوم أو الإيذاء؟

■ على الحاكم أن ينجز ما أنيط به.. أما إذا جاءه بعد هذا من لا يرضى عنه أو من يغتاله أو ينال منه فسيكون له جزاؤه. تماما مثلما حدث لعمر بن الخطاب. فكأن الاله يقول له.. أنت قدمت عملا كبيراً. وعملك في الدنيا لا يكفي للجزاء الذي أريده لك وعليه أميتك شهيداً لكي اجزيك خير الجزاء.

◆◆ خرج علينا أحد علماء المسلمين. ويدعى عبد الرحمن وحيد ـ زعيم منظمة نهضة الأمة في اندونيسيا ليؤكد أن ما ذكره القرآن من تشكيل دولة اسلامية أمر غير واقعي ـ وأن هذا حلم يراود البعض؟

■ كل هذه أبواق مدفوعة من خصوم الإسلام ـ تماماً كما دفع ـ ميرزا

غلام أحمد ـ في باكستان فانشأ القديانية لكـي يبطل الجهاد الذي يؤرق أعداء الإسلام. والذي أرق الصليبـيين والإلحاديين دائماً. فهؤلاء مدفـوعون من قبل خـصـوم الاسـلام. ولهـذا ترين أن كل دعـوة من هـذه الدعـوات تجنح إلى التخـفيف. وهذا يصدق أيضاً على مـا قام في ايران من بابية وبهائـية ـ إذ لجأ اتباعها إلى التخفيف. .

فكل دعوة من هذه الدعوات تلجأ ألى تخفيف الإسلام بغية تخليصة من قوة تفرض سيطرتها في حركة الحياة بما لا يتدخل في عقيدة ولذلك هم يقولون ويشـيعـون خطأ بأن الاسلام كـان بالسـيف. . وهو ليس كذلك ـ إذ لو كـان بالسـيف حقـاً لما بقي هناك من يدفع الجـزية في الدول التي فتـحهـا. فإبقـاء الإسلام على من يدفع الجزية معناه أنه ترك لأصحـاب العقيدة حريتهم طالما أن نظام الإسلام يـسير. وطالما كـان له فكر يسوس به الدنيـا بل إن من نضج في حضن الإسلام صلح لكي يقود ويسوس الدنيا أمثال عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد.

◆◆ الإسلام كنظـام يسوقنا إلى الحـديث عن أسلوبه في الحروب خـاصة وأن هناك وجـهة نظر تؤكـد وتسـوق الشواهد عـلى أن الإسلام لم يشن حـرباً هجومية قط وأن كـل غزوات الرسول ﷺ كانت دفاعية بدءاً «ببدر» وانتهاء بتـبـوك؟

■ من قال أن حروب الأسـلام كانت للدفاع؟ هذا أيضاً مـا يريد خصوم الإسلام أن يقوقعوا الإسلام من خلاله.

إنني حر في أن أعلن عن ديني وأحمي اختيار الفرد كما يحب.

فأنا إن حاربت أحارب لكي أحمي اختيار الفرد بعدما أعلنها صريحة بأن من يعارضني في أن أقول كلمة الحق سأحاربة وأهاجمه.

◆◆ **هل يمكن أن أهادن؟**

■ بالطبع لمن لا يعارضني ولكن من يعارضني أهاجمه. إنني أقول كلمة الحق ثم بعد ذلك له مطلق الحرية في أن يسمعها أو لا يسمعها. فالإسلام جاء بقوته ليحمي حرية اختيار الفرد.

◆◆ **ولكن كل غـزوات الرسـول ﷺ بدءاً من بدر حتـى تبوك كـانت كلها دفاعية؟**

■ ليست دفاعيـة أبداً. فعندما أعلم أن هناك من يريد أن ينقض عليَّ أو أن هناك من يعين غيره للإنقضاض عليَّ فماذا أفعل؟ يجب أن أحاربه.

◆◆ **هل يعني هذا أن الإسلام قد حض على أن تكون الحرب هجومية؟**

■ هجومية لمن أظن فيه أنه سيقف أمام دعوتي..

◆◆ **ألا يتعارض هذا مع قوله تعالى: لا إكراه في الدين؟**

■ أنا لا أكرهه ـ ولكن أحـمي الاختيار. بدليل أن الجـزية قد فرضت ـ ففرض الجزية يعني أن هناك أناسـا تُركوا على دينهم. فأنا لم أرغم أحداً ـ من استمـر على دينه استمـر ـ فحربي كله من أجل أن أُفسح لكلمـة الحق أن تقال ولكي أحمي حرية اختيار الفرد.

◆◆ **كان لدي إنـطباع بأن الحروب فـي الصدر الأول من الإسـلام كانت دفاعية ولم تتحول إلى هجومية إلا في الداخل فقط بالنسة للمرتدين؟**

■ المرتد موضوع آخر. وهناك من عاب الإرتداد على الإسلام، وهؤلاء أغبيـاء. لأنني حينما أقول للمرء إنك إن دخلـت الإسلام ثم خرجت منه تدفع حياتك ثمناً له. حينئذ لن يدخل الإسلام إلا إذا جعل الغاية من الإسلام مقابل

حياته. بمعنى ألا يدخل هكذا جزافاً وبدون تفكير وإلا كان الموت ثمناً لجزافيته.

◆◆ ألا يمكن أن يكون رد فعل هذا التحذير هو الحد من عدد الداخلين إلى الإسلام؟

■ انني أحذر من مغبة الأمر.. ومن الجزافية حتى لا يدخل عندي ثم يعود قائلاً لقد جربت الإسلام فلم يصلح لي. ولهذا أنصحه قبل أن يدخل إلى الإسلام بأن يدرس العملية أولاً حتى يكون دخوله الإسلام بعد تدبر وتمعن..

◆◆ قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت. فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ مع ما تدعو إليه الآية من تمعن وتدبر ونظر هل أحاسب المرء اذا لم يهتد؟

■ عليه أن يتمعن بداية قبل أن يعلن إسلامه. لأن الرجوع عنه ثمنه حياته انني هنا أحول بينه وبين النظر إلى عملية اسلامه على أنها مجرد نظرية سطحية. بحيث يعلن إسلامه ثم يرتد عنه بعد ذلك. فأنا احذره.. لا تجعل منها نظرية سطحية لأنك إن فعلت ستدفع حياتك ثمناً لها. انني أنبهه «إياك أن تدخل إليها إلا وأنت واثق بأن ما دخلت إليه أثمن من حياتك».

◆◆ ولكن ألا تؤخذ عملية النضج في الحسبان. فالمتغيرات التي تعن للمرء على مدى سنوات العمر كفيلة بتغيير مسارات فكره ومبادئه ودرجة النضج لديه؟

■ ما دام الإنسان أصبح قادرعلى انجاب مثله ـ يكون قد نضج هذا هو حد النضج فإذا أصبح الشاب بالغاً قادراً على إنجاب مثله يكون النضج قد استوفى واستوى ولهذا لم يكلف الله المرء الا بعد الوصول إلى القدرة على انجاب مثله

(٤)

الإسلام والأسرة

◆ خصوم الإسلام يتطلعون إلى عزله عن حركة الحياة

◆ من المغالطة أن تقول المرأة:

انها خرجت لبناء المجتمع فما حدث هو الهدم لا البناء.

◆إن رسالة فضيلة الشيخ متولي الشعراوي كما تتبدى من خلال تفسيراته محاولة لاستمالة وجدان المرء المسلم بداية حتى يقبل على التكليف بشئ من روح الحب. فهو يرى أن هناك من يأخذ الإسلام على أنه قضية تكليفية عنيفة. ولهذا يقول له: اعشقه أولا لكي تنفذ تكاليفه المطلوب منك الإضطلاع بها. فالشيخ متولي الشعراوي يشحن عواطف مريديه وخلصائه ومحبيه ليؤمنوا بالإسلام الإيمان الحق.. إيمان من يرى ويسمع ويؤمن ويستجيب ويطبق ووسيلته التركيز على الجانب اللغوي.. لأن القرآن معجزة وهو يريد للآخرين أن يتذوقوا حلاوة إعجاز أسلوبه لكي يلتفتوا إليه وينتبهوا. حتى إذا عشقوه كنموذج أدائي أقبلوا على مناهجه. أنه بمعنى آخر يلفت نظرهم إلى أنه الأسلوب الذي اختاره الله لأداء التكليف يغذي المواجيد والعقل معا..

وهنا يتحدث عن قضايا تمس الإسلام والمسلمين.



◆◆ اذا تحدثنا عن الإسلام كنظام لقلنا بأن الإسلام ليس مجموعة عبادات فحسب وإنما يضم نسقاً قانونياً ونظام حياة كاملة ولهذا جاءت الضرورة بمراعاة الشريعة كما صاغتها مذاهب الفقه الأربعة؟

■ ومن الذي قال انه مجموعة عبادات فقط؟ إن من يذهب إلى هذا فهو يردد ويروج حلم الغربيين وحلم خصوم الإسلام. هؤلاء الذين يتطلعون إلى عزل الإسلام. عن حركة الحياة والسبب أن هؤلاء قد عانوا الكثير وشقوا من جراء تبعية نظام حياتهم للمسيحية.. ولم تكن المسيحية الحقيقية هي التي تحكم

حينئذ وإنما كـان الكهنوت هو المسيطر والحاكم. . وعليـه فلقد كانت المسيـحية الحقـيقية بريئـة من هذا الاتهام. . ومن ثم فـإن خصوم الإسلام يحـبون له أن يتقوقع في عبادات. لأن المسيحيـة حينما تدخلت في حركة الحياة هاجمت كل فكر وقتلت كل مفكر ووأدت كل حركة روحية في الحياة فلما تخلصوا منها بأن أزالوا سلطانها أو بالأحرى سلطان الكهنوت انطلقوا فـتحضروا. . فغاية هؤلاء ان يتقوقع الإسلام ليحدث معه ما حدث في المسيحية.

❖❖ معنى هذا انه كان هناك خلط بين المسيحية الحقيقية وبين الكهنوت.. وهو خلط حدا بخصوم الإسلام إلى محاولة تطويقه؟

■ نعم. . لهذا نقـول لهم كان يجب بداية أن تفرقـوا بين كهنوت ادعى إنه من المسيحية وبين الإسلام. ذلك أن الإسلام جـاء لتصحيح حركة الحياة. . جاء ليجمع بين قيمها المادية وقيـمها الدينية. . ومصداق هذا يتبدى لنا في آخر سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعـا سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضـوانا، سيماهم في وجوههم مـن أثر السجود﴾. فـهذه هي القـيم والعبادات. . وهذا المـعنى كان مفـقودا في اليهـودية قال تعالى ﴿ذلك مـثلهم في التوراة ومـثلهم في الإنجيل كزرع اخرج شطئـه فآزره فاستغلظ فـاستوى على سوقـه﴾ فكأن الله تعالى قال لليهودية. لقد تركتم القيم، لكنني سآتي بقوم ينفذونها. . وكأن الله قال: وانتم ايها المسيحيون تخليتم عن مسائل الدنيا والعلم والتجربة وعليه فأنا سآتي بأناس يجمعون بينهما. فكأن الإسلام بذلك جاء ليجمع هذه وتلك.

❖❖ إذا كان الإسلام كنظام قـد جاء شاملاً حاويـاً لكل شئ.. فما الذي تعنيه العبادة فيه؟

■ العـبادة في الإسـلام وهي الشحنة لحـركة الحـياة مـثل البطارية التي

تشحن وتملأ كي أنير بها: . فهي من هذا المنطلق الشحنة التي تصل الإنسان بربه ليعطيه المدد على حركة الحياة.

◆◆ هل الإسلام بشموليته وحجته للمعاني المفقودة لدى كل من المسيحية واليهودية يعتبر ناسخا لهما؟

■ هناك أمور لا تنسخ وهي أمور العقائد الأصولية ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾. انما ينسخ الحكم الذي كان يلائم زمنا ما في حركة الحياة واصبح لا يلائم ذلك الزمن. أما العقائد والأخبار فكلاهما لا ينسخ فلا تنسخ العقائد ولا تنسخ الأخبار التي ذكرها الله عن القوم السابقين إنما ينسخ الحكم الذي يتعرض لحركة من حركات الحياة وهي التي تحوي تطورات ذلك إنه الحكم قد يناسب الماضي ولكنه لا يناسب الحاضر ومعنى النسخ إلغاء حكم سابق لفترة سابقة واعطاء حكم جديد لحركات لاحقة.

◆◆ إذا عرضنا للإسلام كنظام اجتماعي كيف وضع افضل النظم لتكوين الاسرة واستمرارية الحياة فيها. ما هي القوانين التي شرعها لتنظيم اسرة ترسي على اسس سليمة ثابتة؟

■ الإسلام يتكلم عن المجموعة الإنسانية كأسرة واحدة منتقلة من آدم: ﴿كلكم لآدم﴾ الأمر الذي يعني بأنه إن كنتم تنتسبون إلى أسركم القريبة فيجب أن تكون لديكم طموحات تحملكم على الإعتزاز بالأسرة بداية من آدم ولكن جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا.

اي أن الفرد المسلم الذي يخاطبه الإسلام بحكم يخاطبه ليجعله في نفسه وفيمن له الولاية عليه في محيط اسرته... ثم في المحيط الأوسع حيث مدينته أو قريته ثم للعالمين. إذن فالخلية الأساسية هي نواة خلية الانسان، وبعد ذلك

ما حوله من اسرة تهمه. حيث يجد فيها استقرار لحياته بالنسبة للزوجة يعني أن اللّه سبحانه وتعالى اعتنى بالأسرة قبل أن توجد فدعا الرجل الذي ينشد تكوين الأسـرة إلى أن يظفـر بذات الدين. ودعـا المرأة إلى أن تتـزوج إذا جـاءها من ترضى دينه.. قال الرسول ﷺ : إذا جاءكم من ترضـون دينه وأمانته فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد في الأرض وفساداً كبيراً.

◆◆ مـاذا عن الطفل في الاسرة دعامة الحيـاة وأساسها واللبنة الاولى التي تحتـاج إلى تعهـد ورعـاية!

■ لقد اعطـى الله للمرأة الحظ الأوفى في أن تحـتضن هذا الطفل حـملاً وإرضـاعا ورعـاية إلى أن يستـغنى بمسائل حـياتـه. بمعنى أنه جعل لهـا شطر الإنسان بداية من الحمل به إلى أن يبلغ رشده ويصبح إنساناً ذاتياً. وهكذا تكون هذه هي مهمة المرأة.

فللرجل مهمة الكفاح في الخارج أما هي فمهمتها من تحمل في أحشائها ومن يتربى على حجرها ومن هو أولى بحـضنها ألا وهو الطفل. ولهذا نجد أن الإنسان هو أطول الكائنات طفولة وعليه لابد أن يكون الطفل في محضن أمين عليه. مـحضن لا يُؤجَـر له وأنما محضن طـبيعي مـدفوع عليه بـغريزة الحنان المفطورة فيه.

إن المرء لايستطيع أن يعطي للطفل كل شـئ ولكنه لا يستطيع أن يأتي له بقلب أم.

◆◆ ولكن هذا لا يتوافر الآن فنحن نعيش مجتمعا صاخبا يحيا فيه الطفل حيـاة مبعـثرة مشـتتة بعـيداً عن الرعـاية والعناية والحنان تتنازعه ظروف غـريبة وأهواء أغرب غير مبررة؟

■ وإني لا تساءل بدوري أتعجبكم الحياة هذه؟ بالطبع لا. ! فعندما ترين

الحياة مضطربة ومختلة فلابد أن تعرفي السر وراء هذا الإضطراب وذاك الخلل. ولكننا دائماً نفر من الأسباب.

◆◆ لماذا نلجأ دوماً إلى الهرب ونجبن عن مجابهة الحقيقة؟

■ هذا لأنهم لا يقدرون علي أنفسهم كي يلزموها بهذه الأسباب فتكون النتيجة الطبيعية هي الهرب منها غير أن أحداث الحياة تحاصرهم وتطوقهم في النهاية حتى لا يستطيعوا تداركها. وذلك عندما يكبر الطفل ويخيب وتتوزع ملكاته وتتشتت قدراته.

وهنا يحاولون تداركها فيعجزون ولو أن هؤلاء قد إلتزموا الأطر التي وضعهم الله خلالها. وألزموا أنفسهم بالتالي بالوضع الطبيعي الذي هيأه الله للمرأة. والذي يتمثل في مهمة الحنو والعطف والرعاية بالنسبة للطفل. وإن تكفل أسباب الراحة التي يتهيأ بواسطتها مهمة الكفاح في الحياة من قبل الرجل. وذلك لأن طفولة الانسان تمتد من الصغر حتى يبلغ الحلم وتصبح له ذاتيته الخاصة به.

◆◆ الصورة هذه لا تتسق مع ما نحن فيه الآن فهناك قضايا مغلوطة تثار ونأخذها على عواهنها كيفما اتفق بل أن عصرنا قد اصطلح على مسميات سلوكية نجريها مجرى العادة؟

■ من سخرية الأقدار إننا نؤجل فترة التربية بالنسبة للطفل إلى أن يصبح شاباً فنرى الكثيرين يقولون نريد أن نربي الشباب غافلين عن أن التركيبة اللغوية خاطئة هنا، فالشباب لا يربى وانما هو طاقة تستغل. ولهذا حري بنا ألا نضيع هذه الطاقة ونبددها في الصغر لكي أتي بعد ذلك. وبعد إن تخلفت سنوات لأقول يجب أن أربي الشباب.

واتساءل هنا كيف يـربى من باتت له ذاتية مستقلـة. إن التربية يجب أن تتم بالنسبة للطفل قبل أن تصـبح له هذه الذاتية.. في المرحلة الأولى التي كان يرتدي فيها ما أحب .. ويأكل ما أريد ويلتحق بالمدرسة التي أختار. ولكن أن أرجئ عن عمد عملية التربية لكي أمارسها عليه في سن الشباب وبعد أن تكون ذاتيته قد إكـتملت فهذا من المستحيلات. ذلك أن الأمـر قد خرج من يدي بعد إن بات الإختيار والإرادة والرغبة لذاتيته هو..

◆◆ مـعنى هذا انكم لا تـقرون خـروج المرأة لـعـمل وسط هذه الظروف خاصة إذا كانت تتعهد طفلاً بالرعاية؟

■ خروج المرأة للعمل هو هروب من مهمـتها الأصلية وأنا هنا لا أتحدث عن الإسلام كـإسلام وإنما أراه كنظام وحضـارة إن الامريكيات اللاتي حـضرن إلى مصر وعقدن مـؤتمراً هنا أصدرن فيه توصيات تصدرتها رغـبتهن في العودة إلى البيوت ـ أمـا المرأة المصرية فكانت على النقيض من ذلك عنـدما قالت لا. يجب أن نخرج لنبـني المجتمع.. ونسـيت أن قولها هذا هو قـول مغلوط لأن العكس هو الصحيح. فالنساء يخـرجن لهدم المجتمع لا لبنائه.. وإني لأتساءل ماذا فعلن الآن؟ أنظري إلى ما قاله شاعرنا أحمد شوقي رحمه الله.

ليس اليتيم من انتهى أبواه   من هم الحياة وخلفاه ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقى له   أما تخلت أو أبا مشغولا

فالأب مشغول بحكم مهمة الكفاح الطبيعية الموكولة له أصلاً. بينما الأم متـخلية عنه. فمن اين تأتي طفـولة؟ والأب معذور في أن يشغل لأن مـسائل الحياة تتطلبه في الخارج ولكن لماذا تخلـت الأم عن الطفل. بينما الحق سبحانه وتعإلى يريد أن يجعل الطفل ذا الحاجيات المتـعددة لإنسانة مرتبطة به أي كيانها مربوط به ومـرتبط. وإنه لأمر غريب بالنسـبة للمرأة أن تخـرج إلى العمل في

الوقت الذي تستعين فيه بخادمة لتضطلع بالمهمة الرئيسية الموكولة اليها اصلاً.

◆◆ هذا ان صدق على بعض النساء فلا يصدق على الجميع لأن الضرورة قد تساق في تبرير عمل بعضهن ممن لا تكفل طفلاً ولا يعولها زوج؟

■ عمل المرأة قد وضع الله له شروطاً، وهي الضرورة والضرورة على قدرها.. ومهمة المجتمع القريب. من أهل وأقارب ومؤمنين فهؤلاء لهم مهمة في عمل المرأة. ثم إن المرأة لها في ذاتها وقفة ولننظر قصة بنات شعيب وموسى عند مدين.. قال تعالى ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ـ قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ فالضرورة هي التي اخرجتهما.. ﴿وابونا شيخ كبير﴾.

◆◆ أين مهمة القوامة ـ أو بالأحرى مهمة القيم عليها سواء أكانت قيمة إيمانية أو أسرية؟

■ ﴿فسقى لهما﴾ مهمتها هي كإمرأة بمجرد أن ترى بارقة أمل في أن تعود إلى بيتها ما قالته ﴿يا أبت استأجره﴾ حيث تسعى سعيًا إلى أن تخرج من هذه الضرورة. وتتمثل لباقة ولي الأمر والقيم للخروج من مأزق استئجاره ودخوله البيت حيث بناته ـ في قوله ﴿اني أريد أن أنكحك أحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج﴾.

◆◆ وما هو قولك في إنه في حالات كثيرة تنصاع المرأة إلى العمل انصياعاً من أجل الزوج الذي يدفعها له والذي يطلبها من أجله؟

■ إذا أقبل رجل على امرأة ما لكي تعاونه في حياته فهذا سبب كاف لردع المرأة عن أن تقبله كرجل لأن الزجل الذي يريد أن يتخلى عن مهمته ويرى نفسه ضنيناً بأن يدفع ثمن مكوث زوجته بالبيت لكي تشرف على اثاره من الأجناس ـ رجل لا يمكن للمرأة ان تثق فيه أو تقبله كرجل. لقد أتت لنا

زوجات يطلبن من أن نقنع ازواجهن بألا يجبرهن على الغناء والرقص والتمثيل ـ فكأن هؤلاء النسوة خاضعات لسيطرة من الرجل بوجوب العمل ـ فهؤلاء ليسوا برجال وهذا تأتى من جراء أن المرأة هنا لم تحسن الاختيار عندما شرعت في الإرتباط برجل كهذا. فهذا نجم عن سوء إختيار. وأتسائل هل تطمئن المرأة إلى رجل يريدها من أجل مال تكسبه؟ لقد بدا أن هناك كثيراً من الرجال قد إستكثر جهده وعرقه على المرأة فتطلع إلى أن تعرق مثله.

◆◆ هل يؤدي هذا إلى القول بأن من الظلم للمرأة اليوم أن ترفع شعار مساواتها بالرجل في زمن ضعفت فيه الرجولة الإيمانية؟

■ لو أن المرأة أنصفت ونصفت نفسها لرأت فيمن يرفعون هذه الدعوة.. دعوة المساواة خصوما ألداد لها ـ لأنهم يحملونها أكثر مما تحتمل في الداخل والخارج حيث تضطلع برسالتين في وقت واحد. بل أن إنجراف المرأة صوب العمل أعطى الجميع المبرر لطلب المزيد منها ـ فلو أنها لم تخرج أصلاً إلى ميدان العمل لظلت الروح الإلتزامية موجودة لدى الرجل وهي الروح التي تجعل الرجل القريب البعيد مسئولاً عنها.

◆◆ حينما نتحدث عن الإسلام كنظام يروعنا أن المرء في الشارع وفي المحافل الاجتماعية لا يكاد يحسه أو يستشعر به فتصرفات الكثيرين منا أبعد ما تكون عن مراعاة الاسلام والاقتداء به؟

■ هذا حادث لأن الدين بات هواية فردية فمن يريد التدين يجده لذة بينه وبين نفسه. وننسى أن الدين عندما جاء فرض عقوبات بفرضية أن من يتبعه قد ينحرف وعليه أجرى عقوبات في الدنيا ولهذا يجب ألاَّ أترك المسألة لهوايات فردية. لأن معنى نظام أمة أو نظام دولة أنها تقيم النظام وترسيه، وأن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن لأن القرآن لمن يعتقد بشخصه وليس كل

الناس هكذا أو على هذه الشاكلة.

◆◆ هناك أفراد يتمادون في إتخاذ مواقف مضادة بالنسبة لسلوك شائن شائع في المحتمع. وفي محاولة استئصاله يلجأ هؤلاء إلى سفك الدم وإهداره بزعم تخليص الإسلام من هذا وذاك. ويستشهدون على ذلك بقول الرسول ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده...»؟

■ محاولة التغيير يمكن أن تجري لمن يملك ولاية الأمر ـ كالأب يمارس الولاية على أبنائه ويطالبهم بتغيير سلوكياتهم ويضرب على يدهم من أجل ذلك. ولكن لا يمكن ان تترك هكذا شائعة يستخدمها أي انسان لتحقيق ما يريد تحت واجهة أنه يفعل هذا بزعم تنقية المجتمع من الفساد والقسوة وإلا سرت الفوضى وانتشرت وتعرض هؤلاء للتجريم من القانون.

◆◆أحيانا يتولد إنطباع بأن بعض المتحلقين حول علماء الدين لا يعملون بتعاليم الله.. بل كثيرا ما انحرفوا واتهموا بالنفاق والتدليس.. فهم قد يستمعون جيداً لعالم الدين ودعواه ولكنهم لا ينفذون؟

■ هذا لأن هناك فرقاً بين أن تهضم شيئاً يعجبك بمحرك من الخارج وبين أن يلح عليك هذا الإعجاب بمحرك من داخلك.. فنفس المرء هي داخله.. وذات المرء أصحب له مني ومن أي عالم من علماء الدين

◆◆ هؤلاء يتعاملون لما يستمعوا إليه كترف فكري ينسونه بمجرد غيابهم عنه؟

■ لو أنهم فعلوا ذلك لجنوا على أنفسهم ـ فدعوة عالم الدين أساساً ترتكز علي إعطاء المعين السلوكي فإذا أخذها البعض على أنها من قبيل الترف الفكري فستُتهم بالضحالة والتفاهة ذلك أن أي ترف فكري لا يؤدي إلى ضرورة في الحياة يصبح لغواً ولهواً وعبثاً.

◆◆ معنى هذا ان هناك من يعلم الدعوة ولا ينفذ أو يطبق محتواها. واتساءل ما هي مهمة عالم الدين إزاء هذا؟

■ العالم مكلف أساسا بأن يعلم فالمسألة هنا حمل النفس على مطلوب العلم. فإذا علموا إنتهى الأمر فالعالم يقول الحكم حتى إذا فهم الأخرون هذا الحكم صاروا عالمين به.

◆◆ أحياناً ما تكون رغبات المرء وغايته هي سبيله إلى التردي في الخطأ والإنحراف صوب السلوك الشائن كيف يمكن التقويم؟

■ الآفة تكمن في أن الناس تظن دوماً أن الغايات هي الموجه الأول للإنسان. وهذا هو الذي يفسد المسائل.. لأن الغاية في حقيقتها ليست كذلك. فيجب أن تكون الوسيلة هي الغاية أمامة. وعليه فإن التركيز على حياته اليومية ودنياه غير مضمون. فالحياة الدنيا عرضة للزوال بعد أن تكون قد أقمت من أجلها كل الصروح. ولذلك كان الخروج منها مجهول السبب مجهول الزمان ومجهول المكان.. ولهذا وجب ألا أتمسك بها كغاية...

* * *

(٥)

الدنيا الزائلة

◆ لو أنَّ المسلم عرف غايته لا ستطاع أن يعيش حياته دون قلق.

◆ أنا لا أسهب في الشرح اللغوي، إنما أعرض على الناس كنوز القرآن.

◆ماذا نفعل إذا كان الضمير غائباً والنفاق طاغياً والحقد يأكل الجميع؟.

◆عندما عين وزيراً للأوقاف في مصر منذ سنوات قال يومها في مجلس الشعب اعتبروني وزيراً في دولة غير مسلمة ومجتمع يدير أموره بالفهلوة.

واعتبر حينئذ أن مهمته شاقة وأنه أشقى خلق الله. فالشيخ محمد متولي الشعراوي العالم الجليل ينسب إلى الإسلام بينما يعيش ـ على حد قوله ـ في دولة غير ملتزمة بنظام السماء ولهذا كان يردد دائماً أنه من الحتمي أن تكون حياته ملفقة.



◆◆ وسط الحشد المادي الحادث اليوم، كيف يمكن للإنسان أن يعيش حياة نقية بضمير يقظ وبآدمية غير مهدرة؟

■ لو أن المسلم عرف غايته ومهمته لهان الأمر. ولاستطاع أن يعيش حياة يتوفر فيها الضمير اليقظ والآدمية غير المهدرة. فهناك من يعيش دون أن يعرف هذه الغاية وتلك المهمة. ويستطيع المسلم أن يحدد غايته إذا آمن بدينه حقاً فلا بد أن يتحرى الغاية من هذا الدين. فكما أنني لا يمكن أن أحكم على أمر ما بالنجاح أو الفشل إلا إذا عرفت غايته كي أرى وأتبين فيما إذا كان قد حقق هذه الغاية أم لا فلا بد أن يتحرى المسلم الغاية من هذا الدين.

◆◆ قد يبدو للبعض أن الدنيا هي الغاية؟

■ من يجعل الدنيا غايته يتهافت على متعها وينسى ما عداها. ولكن هناك من يتطلع إلى غايات أكبر. هناك التلميذ الذي قد ينشغل عن طعامه ولباسه بشئ آخر مثل العلم وتحصيله، فهو يتطلع إلى غاية أكبر تظهر ثمراتها

تدريجيا عندما ينجح وعندمـا ينهي تحصيله ويصبح شخصاً مـرموقاً في الحياة. الآفة أن يظن الناس أن الغايات هي المواجه الأول للإنسـان بينما الغايات ليست هي المواجه الأول وإنما الوسائل.

◆◆ هناك من يجعل الغاية وسيلة؟

■ هنا ننبه قائلين: هذا خطأ لأنه لم ينظر إلى حقيقة الغاية التي أراد أن يجعلها وسيلة. فـالتركيز علي حياته اليومـية ودنياه غير مضمون فـالحياة الدنيا عرضة للزوال بعد أن يكون المرء قد أقـام من أجلها كل الصروح، ولذلك كان الخروج منها مجـهول السبب، مجهول الزمان ومـجهول المكان. لذا يجب ألا أتمسك بها كـغاية، فالجندي الذي نراه في المعركـة قد اضطرته الظروف إلى أن يأكل الحـشرات ويشـرب الماء الآسن، يتطلع الـي غاية اكـبـر من تمضيـة أيام معدودات في المعركة.

أي أن الحياة التي يعيشها الآن ليست هي المقياس. أما الذي يفسد المسائل هو أن أجعل الغـاية هي المواجه الأول - وهي ليست كـذلك. يجب أن يحدث العكس. بمعنى يجب أن تكون الوسيلة هي الغاية أمامه.

◆◆ وما هي الغاية اذن؟

■ هي الحافز المغري الذي نصبه مـن شرع لنا كي يجعلنا نتقبل التكليف بوصفه مؤديا الي نفعنا.

◆◆ العـالم الجليل الشيخ الشـعراوي يحـتل الصدارة في الدعـوة لدى الدعاة... غير أن البـعض يذهب إلى أنكم تسهبون في التفسـير اللغوي بدرجة تطغي على قضـايا أخرى تتـعلق ببند الممارسة الذي لا يمكـن أن نفصله عن أي إنسان مسلم؟

■ هذا غير صحيح. إسهابي اللغوي لا يطغى على بند الممارسة الذي تشيرين إليه. فأنا مختلط بالناس كلية وهذا في حد ذاته يشكل أمامهم عنصر الممارسة الذي تتحدثين عنه. ليس هناك موضوع إلا وأبديت رأيي فيه بصراحة وواجهت فيه كل ما يمكن أن يواجه. ولأن القرآن معجز. وأنا أريد أن أذيق حلاوة إعجاز أسلوبه للآخرين ليلتفتوا ويتنبهوا إليه حتى إذا حدث هذا وعشقوه كنموذج أدائي أقبلوا على مناهجة. والمفروض في التقنينات أن أعرفها أساساً لكي ألتزم بها وذلك يصدق على مواد القانون المدني والجنائي. ليس من الضروري أن ألتزم بها ولكن بالنسبة للقرآن فإن الأمر يختلف، فإلى جانب التكليف فيه أحاول أن ألفت نظر المريدين إلى أن الأسلوب الذي إختاره الله لأداء التكليف يغذي الوجدان ويغذي العقل وتطرب له النفس. عندما يأتي القانون الجنائي ويتحدث في القصاص والقتل وما إلى ذلك لا يمكن أن تجد فيه المواجيد التي تشيع في النفس البشرية الأخوة والمحبة. أما القرآن فغير ذلك. فحتى في أعنف المواقف يشيع المواجيد يقول تعالى: **﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾**، **﴿فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾**. ففي الآية الكريمة يخاطبني الخطاب الذي يحنن عواطفي على القاتل. وهذا خلافاً لأي قانون جنائي يتناول الواقعة. . ومن ثم فعندما أركزعلى اللغويات فإني أريد أن أوصل رسالة مؤداها: القرآن ليس مجرد ألفاظ مطلقة فوراء هذه الألفاظ إيحاءات ولها عطاءات يقصد منها الإعجاز. انظري إلى قوله تعالى: **﴿قل سيروا في الأرض﴾** كيف يقول الله: **﴿قل سيروا في ﴾** ملْ السير على» من خلال تفسيري اللغوي ألفت نظر الناس إلى أن الأداء القرآني كان لديه كل ما يجد ويظهر من قضايا الإبتكار والإكتشاف.

فلما كلنت الأرض كرة تدور بغلافها الجوي. فإنه لا يقال أن الأرض يابسة فقط وعندما أسير على اليابسة أكون سائراًفي قلب الأرض ـ(إذ أن السير على الأرض

يصبح فوق غـلافها الجوي. إذن فالأداء القـرآني نفسه يمنحني قضيـة كونية لم تكتشف إلا حديثاً. وهنا أدلل لمن يسمعـني على أن المتحدث وهو الله سبحانه وتعإلى غير عادي.

◆◆ما هي الفائدة من داع يدعو ويشنف الآذان بكل جميل ومفيد، بينما من يسمعونه يمضـون ولا يعملون بما يدعوهم اليه.. فالنظافـة ليست موجودة.. والضميـر غائب والكرامة مهـدرة والغش منتشر والخداع متـفش والنفاق يطغى والحقد يأكل الجميع؟

■ على أية حال نحن نشـحن عواطفهم لكي يـؤمنوا بهذا الدين الإيمان الحق. إذ أنه لا يروق لنا أن يقـولوا: «إننا مسلمـون» ثم لا يطبقـون شيـئاً من الإسلام، هناك من يأخذ الإسلام علي أنه قضية تكليـفيةعنيفة ولهذا نقول له: عليك بأن تعشـقه أولاً لكي تنفذ تكاليفـه. المطلوب منك أن تطلع بها. أي أن دعواي تكون محاولة مني لإستمالة وجدانه بدايةحتى يقبل على المشقة بشئ من روح الحب. وإذا مضى في غلوائه ولم ينفـذ تعاليم الله، واعتبـر الدعوة بمثابة نوع من الترف الفكري يشاهدها كمـا يشاهد فيلماً سينمائياً ويخـرج منها مثلما دخل يكون حينئذ هو الجاني على نفســه. إنني أستخدم وسيلة الدعوة لإعطائه المعين السلوكي. فـإذا أخذها البعض علـى أنها شئ من الترف الفـكري. فهنا نتهمـه بالتفاهة والنكوص عن الحق. بل إن أي ترف يؤدي إلى ضـرورة ويشبع حاجة وإلا بات لهواً ولغواً. وعليه فإذا لم يسـتفد من الدعوة ويعمل بما استفاد يكون قد ترسم اللهو واللغو طريقاً له.

◆◆ ولكن لماذا لا ينـزل دعـاة الدين وعلمـاؤه إلى الـشـارع أي للناس وحيث الممارسة على الطبيعة؟

■ الناس دائماً تريد أن تكلف العالم بكل شئ. مـا يسود الكون ليست

مهمة العالِم وحـده. ثم إن الأزمة الموجودة الآن ليست أزمة علم ولا أدل على ذلك من أن هناك من يعلم الـكثيـر من أمور الدين ولا يـطبق منها حـتى أقل القليل.

لهذا أقول يجب علينا أولاً قبل أن نتهم العلماء بالتقصير أن نرى ما الذي طبـقه الناس بعـد أن علموا: هل طبـقوا مـا يعلمون حـتى نعذرهـم فيـما لا يعلمون؟ أم أنهم لم يطبـقوا ما يعلمـونه بعد؟ إن الناس عادة لا يحبـون اتهام أنفسهم بالتـقصير ولذا نراهم يعلقـون أخطاءهم على الآخرين. وهنا وجب أن نتساءل هل المخالفات التـي أُرتكبت من قبلهم واردة في شئ لا يعلمون حكمه أم في شئ علمـوا حكمه. إن الـعالم مكلف بتـوصـيل علمه إلى الاخـرين. فالمسألة هنا حمل النفس على مطلوب العلم.. حتى إذا ما علموا إنتهى الأمر. العالم يقول الحكم حتى إذا فهم الآخرون هذا الحكم صاروا عالمين به.

◆◆ فيما إذا علـم المرء بالأمر وخالفه. ما هو موقـفنا حينئذ من المنكر؟

■ من يرى منكراً فليحاول أن يتصدى له... وهذا ليس مقصوراً على علماء الدين فقط وإنما هو واجب علينا جميعاً.

* * *

(٦)

الاستنساخ وقضايا أخرى

◆المسلمون يمتحنون الآن في كرامتهم.

◆دعـوة قـادة الجـمـاعـة الإسـلامـيـة إلى وقف العنف أول طريق الهداية.

◆من أراد أن تكون كلمته من رأسه.. فليأكل من عرق فأسه.

◆أنيس منصور دعا إلى وقف إذاعة آحاديثي.

◆الشيخ محمد متولي الشعراوي يُبحرُ في حديثه يتحدث عن قضايا الساعة.. الرجل قلّما يثور أو يغضب لنفسه، فغضبته للّه جلّ شأنه .. ولهذا غضب عندما قام المستوطنون اليهود بوضع ملصقات تسئ إلى الإسلام ونبي اللّه محمد ﷺ. وغضب لتمزيق المصحف وأنحى باللآئمة على المسلمين المتخاذلين.. والشيخ غاضب على ضياع القدس ويقول: نحن الذين أضعناها بتفرقنا وتشتتنا... والشيخ غاضب على الصحافة لأنّها تُزَيِّن للجمهور ما يحب ويعرب عن أمله ـ أن تكون بالصحافة جرعة مُرّة وإن كرهها القارئ. والشيخ يُؤكد أننا أكثر ما نكون حاجة إلى أن نُحكَم بالإسلام ويرى أنَّ مهمة المرأة الأساسية البيت حتى ينصلح حال الأسرة.. وفي الوقت نفسه يرحب بدعوة اتباع تنظيم الجماعة الإسلامية إلى وقف العنف والإرهاب ويقول: إنهاأول طريق الهداية ويجب ألا نُشكِّك فيها.. ويؤكد الشيخ أنّ الاستنساخ حرام بالنسبة للإنسان فقدرة الخلق مُطلَقة للّه وحده.

◆◆ الإنسان عادة قد يعتريه الغضب بين الحين والآخر، يغضب لواقعة تمسّه أو تمسّ الآخرين. وأتساءل: متى يغضب الشيخ متولي الشعراوي؟

■ والله ما غضبت لنفسي قط. ولكني أغضب لله وحده ولربما تكون هذه كفارة لي. الشيوعيون عملوا فِيَّه اللي ما يتعمل.. ولكن إن بهدلوني أو مرمطوني ما كنت لأغضب إلاّ للّه وحده.

◆◆ ماذا عن الملصقات التي أساءت إلى الإسلام وإلى النبي ﷺ ؟

■ المسلمون هم الذين يغضبون ـ إذا كان هناك مسلمون ـ هذه مهمة المسلمين وليست مهمتي وحدي. . لا أدري علام تخاذل المسلمين؟

◆◆ وتمزيق اليهود للمصحف الشريف؟

■ لأن المسلمين متخاذلون عن نصرة دينهم افترى عليهم الآخرون

◆◆ يُقال إنَّ العد التنازلي قد بدأ لهدم المسجد الأقصى على يد اليهود؟

■ الاجتراء علينا مبعثه ضعفنا وتخاذلنا. وعلى المسلمين أن يهبوا للذود عن مقدساتهم.

◆◆ القدس ضاعت وتم تهويدها؟

■ نحن الذين أضعناها. القدس تحتاج إلى موقف إسلامي قوي لتعلم إسرائيل أننا على قلب رجل واحد. القدس تحتاج إلى وحدة العرب ونبذ الخلافات والنزاعات.

◆◆ ولكن العرب متفرقون كيف يمكن لم الشمل؟

■ قلنا هذا . . أنا لم أُقصِّر . . لم أُقصِّر حيال ذلك . . قلت لهم مراراً: آيها العرب لا تجمعكم كلمة العرب ولكن تجمعكم كلمة المسلمين.

◆◆ ولكن العالم الإسلامي إلتزم الصمت وأدار ظهره للأحداث، فالمسلمون لا يبالون؟

■ لابد أن يحرق الله أنفهم. . «أمال إيه» . . لقد ضُربوا في أحد والنبي بينهم ووسطهم. . سُنّة الله هكذا. هو عشان إنهم مسلمين يجاملهم يعني ولا إيه.

◆◆ **كُتب علينا أن نعيش مرحلة العنف اليهودي بكل ما يمكن أن تتمخَّض عنه من مذابح وأهوال.. وأتساءل: كيف يمكن أن نخرج من أزمة إسرائيل التي تحاصرنا؟**

■ هذا لن يكون بالدعوة إلى دولة علمانية. فلا يمكن أن أبعد عن الله في وقت أنا أشد ما أكون في حاجة إليه من أي شئ آخر.

◆◆ **ولكن كيف يمكننا التغلب على إسرائيل؟**

■ كونوا مسلمين بحق حتى لا تكون هناك إسرائيل بحق كما قال تعإلى في سورة الإسراء: **﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنَّ في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاءَ وعدُ أولاهما بعثنا عليكمَ عباداً لنا أولي بأسٍ شديد فجاسوا خلال الديار وكانَ وعداً مفعولاً﴾**.

◆◆ **الخوف يسيطر علينا لأنَّ إسرائيل تملك ترسانة نووية ضخمة وتتبنى سياسات أقلَّ ما تُوصف به أنها عدوانية توسعية؟**

■ ربنا لم يقل لنا إعملوا ترسانات مثلهم. ولكنه قال عزَّ وجلَّ: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾**. واتركوا الباقي عليَّ. ويكفي أنَّه عزَّ وجلَّ يقول: **﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾**. هذه هي ترسانته.

◆◆ **فيم إذا دُعيتم لإسرائيل هل تلبون الدعوة بزيارتها؟**

■ لقد دُعيت مراراً ولكني كنت دائماً أقول: حتى ننتهي من عملية السلام ويسود السلام الشامل والعادل والدائم المنطقة.

◆◆ جماعات حقوق الإنسان في الغرب تنتقد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في السعودية وتنفيذ أحكام الإعدام بدعوى أنها ضد حقوق الإنسان.

■ ما شرعه اللّه من أحكام كان من أجل الحفاظ على حياة الإنسان أولاً: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ وعليه إذا أدرك القاتل أنّه لو قَتَلَ سيُقتلُ فلن يُقدم على الجريمة. وبذلك فإنّ الآية الكريمة تحفظ له حياته وحياة الآخرين. إنّ من يناقش قضايا الإسلام لا يناقشها في الجزئيات إنما يناقشها في القمة وفي الأساسيات.. إن المرء إذا ذهب إلى طبيب وكتب له روشتة فإنه يستجيب لعلاجه فكيف لا يستجيب لخالقه. حقوق الإنسان التي يتحدثون عنها أعطاها اللّه للبشرية منذ أربعة عشر قرناً. ثم إنّ جماعات حقوق الإنسان في الغرب تتحدث عن حقوق الفرد بينما هم يعتدون على حقوق الإنسان في الأمم كلها.

◆◆ كأكبر داعية في العالم الإسلامي، هل أمكنكم تغيير المجتمع ولو جزئياً؟ وهل ما زالت رغبة التغيير معكم أم أنكم فقدتم الأملّ مع إنعدام النتائج؟

■ لا يُمكن لداعية أن يفقد الأمل ويكفي أنني أُغيِّر في الأفراد. ليس من الضروري أن تؤدي دعوتي إلى تغيير في الحكومات. ولكن الأفراد تغيروا، حتى الأطفال الصغار تغيّروا. ألمحهم عندما أسيرُ في الطريق.. هم الذين يدلون أهاليهم عليَّ قائلين: هذا هو الشيخ الشعراوي.

◆◆ هذا ليس غريباً والكل يرى فيكم أعظم داعية؟

■ يكفي التراجع في قضية نقل الأعضاء.. وذلك عندما أكدت أنَّ نقل الأعضاء من الحي إلى إلى الحي حرام. ومن الميت إلى الحي حرام. اللّه وحده الذي يملك الإنسان حياً وميتاً ولا يجوز نقل عضو من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر.

المنتحر يذهب إلى النار لأنّه لا يملك جسده ومن لا يملك الكل لا يملك الجزء. فكيف أتبرّع بما لا أملك ويملكه اللّه.

◆◆ ومإذا عن الاستنساخ بالنسبة للإنسان خاصة أنّ علماء السعودية مؤخراً أصدروا فتوى بتحريمه؟

■ الاستنساخ موجود في النبات.. تقاوي القصب نزرعها فتنمو.. وكذا تقاوي التين البرشومي والجميز.. **﴿فسبحان الذي خلقَ الأزواج كلها مما تنبتُ الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾**. والإستنساخ ممكن مع الحيوان فالمحاولة من الممكن أن تحدث. الذكر ينمو وينجب ولا يعرف من إبنه وعليه فإن الإستنساخ في الحيوان محاولة إنْ صحت. جازت أمّا بالنسة للإنسان فالأمر مختلف. فهو يتطلّع لأسرة مكونة بقدرة اللّه وحده من زوج يكدح وأم تحنو ولا يصنع ذلك إلاّ رب لكي يتكاثر الناس على مبدأ. فطفولة الإنسان طويلة ولها مقومات بخلاف الحيوان، وعليه فلا استنساخ في الإنسان لأنّ الذي يقدر عليه هو اللّه وحده.. وتظل قدرة الخلق للّه وحده.. خلق حواء من آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾

◆◆ المعارضة في مصر. هل ترونها أهلاً لأن تحكم؟

■ ليس لي علاقة بالسياسة ولا أتحدَّث فيها. كل ما أريده أن أُمكَّن من قول كلمة اللّه وأن أظلّ أقول كلمة الحق. ولهذا فإنّ كل ما يهمني هو أن أُحْكَم بالإسلام ولا أريد أن أَحْكُم. أي لا أريد أن أضطلع أنا بالحكم حتى لا يغضب من أحد.. ودعوتي هي إحكموني بالإسلام وافعلوا بي ما شئتم بعد ذلك.

◆◆ هناك من يقول إنَّ السر في مشاكل مصر هي وسائل الإعلام. فالأجهزة من الخطورة بحيث أنَّها أكبر من أن تُترك للدولة بمفردها لتتولى تبعة توجيهها؟

■ في اليوم الذي التقيت فيه بالرئيس مبارك بعد اقعة محاولة الاغتيال

الفاشلة في أديس أبابا في يونيو ٩٥- أعطاني أذنه فقلت له ما أريد قوله يومها. . قلت له: لعلَّ هذا الحدث يُعتبر زلزلة لك لتتحرك من بشريتك المطلقة إلى عبوديتك المطلقة لله. وأن تكون كما مكنَّك الله من حكم الدنيا بقانون البشر أن يُمكنك من حكم الدنيا بقانون خالقكَ.

◆◆ الدش والفيديو والتليفزيون أكبر وسيلة للإفساد والإفلاس والتلهية عن اللّه وجادة الأمور؟

■ لا تنسي أنَّ الحكم قومي لا ديني. ومعنى قومي أنّه يُعطي كل مواطنيه ما يشتهونه. ولكنّنا نرى أنّه عندما يأتي موعد الأذان يتوقف البرنامج ليقول المؤذن «اللّه أكبر». بمعنى يا من تريد اللّه أنا أخاطبك الآن. ويبث برنامج للشعراوي على التليفزيون حتى إذا انتهى جاءت فيفي عبده. اللي عايز الشعراوي يستمع إليه ويشاهده واللي عايز فيفي عبده هو حر. إذن المسألة تكون في يد المحكوم. . هو حر أمامه كل ما يريد وهو ينتقي ما يريد.

◆◆ ولكن ما يُعرض على شاشة التليفريون لا يمكن أن يعكس مواصفات المجتمع الإسلامي؟

■ وهل قال لك الحاكم إنَّه يحكمك بالإسلام؟ الحكم قومي لا ديني. إذن ليس لك أن تتكلمي. حيث إنّه إذا كان يحكمك بالإسلام وعُرضت مثل هذه الأشياء كان يمكن عندئذ أن نقول له: هذا خطأ. هذا لا يتماشى وحكم الإسلام.

◆◆ هل نحن في حاجة إلى أن نُحكم بالإسلام حالياً؟

■ ليس نحن فقط وإنما الدنيا كلها يجب أنْ تُحكم بالإسلام.

◆◆ وكيف يتأتى ذلك؟

■ أن يُصبح الحاكمون في الأرض عبيداً للمحكومين. أمّا أن يروا أنفسهم سادة والكل يطمح إلى أن يكون حاكماً فإنّ الدنيا ستفسد.

◆◆ هل الخوف من الإخوان المسلمين مبرَّر؟

■ الخوف منهم ليس لكونهم يدعون إلى الله ولكن لأنهم يُريدون القفز على مقعد الحكم.. الخوف لأنهم يريدون أخذ الحكم من الآخرين وإنزالهم من علي الكراسي. هذا كل ما في الأمر. ولهذا أنا أطمئن الحكام عندما أقول لهم: أنا لا أريد أن يكون الحكم بيدي. احكموني أنتم وكل ما أتطلّع إليه هو ألاّ يحولوا دوني ودون أن أقول كلمة الله.

◆◆ العدالة الاجتماعية الحقيقية التي تُطبق بدءاً من رئيس الجمهورية إلى الخفير هل يمكن تحقيقها؟

■ هناك شئ اسمه الرزق، وهناك شئ اسمه المجتمع الفرد هو الذي يُشكِّل حاكمه ـ ولا أقول أكثر من ذلك.

◆◆ إذا أخطأ الحاكم من يُقوِّمه؟

■ حين يبيح الحاكم للمحكوم أن ينبهه إلى خطئه تنتقل المسألة إلى المحكوم. ولكن النفاق تطوعاً سيئ للغاية. أن يلجأ المحكوم إلى منافقة الحاكم تطوعاً حتى ولو كان على خطأ ده اللي بيخسَّر كل حاجة.

◆◆ والسبيل للقضاء على النفاق؟

■ بألا يأخذ المنافق حجماً أكبر من حجمه. وهذا لكي يُغلق عليه الطريق فلا ينافق.

◆◆ هل كنت تتمنى أن تكون حاكماً؟

■ لقد كنت حاكماً في يوم من الأيام.

◆◆ لم أقصد الوزارة وإنما أقصد رئاسة الدولة؟

■ أتمنى أن أكون مسموع الكلمة عند الحاكم. وحين أزهد فيما لديه وما في يده سيسمع لي عندئذ وهذا أقصى ما أطمح إليه.

◆◆ أصدرت قيادات من المنتمين إلى ما يُسمى بالجماعة الإسلامية بياناً مؤخراً يدعون فيه إلى وقف العمليات الإرهابية وتضافر الجهود لدعم الداخل والتكاتف ضد إسرائيل. ما رؤيتكم؟

■ الدعوة إلى وقف العنف هي أول طريق الهداية.. ندعو اللّه أن يهديهم إلى الخير العام ليتضافر الجميع في خدمة الوطن والوقوف صفاً ضد إسرائيل.

◆◆ أليس من الممكن أن تكون هذه مناورة لإكتساب الوقت وإعادة بناء صفوفهم والضرب من حديد؟

■ النية يعلمها اللّه وحده. ولكن إذا قالوا تركنا الإرهاب فكيف أقول إنّها مناورة؟ يجب ألاّ نُشكِّك في دعوتهم. وعلينا أن نأخذها كبداية نحو الهداية ونحو العمل من أجل الخير العام.

◆◆ هل الشيخ الشعراوي متفائل رغم كل هذا الصدأ الذي علا النفوس؟

■ أنا متفائل. إننا نُمتَحن في كرامتنا الآن لكي نفيق لأنفسنا وسنُجبَر على الإفاقة لأننا إذا لم نفق نكون قد رضينا بالهوان!

◆◆ إذا ظُلم الإنسان كيف يُمكن أن يرد الظلم؟

■ يجب ألاّ يرده وإلاّ لقضى على الظلم بقوته. ولكن عليه أن يترك أمره لمن هو أقوي من الظالم. ولو عرف الظالم ما أعده اللّه للمظلوم لبخل

عليه بالظلم. أتذكر «عبد العظيم لقمة» الذي خرج في يوم من مصر محكوماً عليه وجاء السادات وأعاده إلى مصر ثانية التي عاش فيها بعد ذلك. وبينما أسير معه ذات يوم مررنا بقبر جمال عبد الناصر. فما كان من عبد العظيم لقمة إلاّ أن بصق عليه. فقلت له: لم هذا؟ لقد أفضى الرجل إلى ربه وليس لك حق فيما فعلت. فقال: لقد أخرجني من مصر ـ «ببيچاما وشبشب» ـ وهنا ربت على كتفه قائلاً: عشان يرجعك تشتري جروبي.

وانظري إلى كل من أخرجهم عبد الناصر كيف أصبحوا المطلوب فقط أن نصبر ولا نتعجّل.

◆◆ واقعة حدثت لكم مع عبد الناصر؟

■ حدث أنّه جاء إلى السعودية للعزاء في عبد العزيز آل سعود وهناك التقيت به وكنت أتحدّث عن الناصرية ـ فقال لي: عندما رآني: عندما تأتي إلى مصر دعنا نراك. وذهبت إلى مصر ولم أذهب إلى لقائه.. بعدها طلب من وجيه أباظة وشعراوي جمعه أن يأخذاني كأمين فكر.. وقلت لنفسي أنا في آخر حياتي التحم به يارب خلصني. المهم أخذنا ثلاثة مواعيد للقاء.. الموعد الأول لم أحضر لوفاة عمتي، والموعد الثاني جاء القذافي ولم يأت عبد الناصر. الموعد الثالث حُدِّد يوم الثلاثاء وتُوفي عبد الناصر يوم الاثنين. وبذا لم يُقدَّر لي أن ألقاه...

◆◆ مإذا عن السادات؟

■ دعوت له.. لقد أمَّن الناس على أعراضهم ويكفي أنّه طرد الروس دون إراقة نقطة دم. ويكفي أنّه أعلن حرب أكتوبر دون أن تدري القوتان العظميان.. إنه رجل دولة من الطراز الأول.

◆◆ والرئيس مبارك؟

■ أدعو اللّه دائماً أن يُوفِّقه. . ينجح له المقاصد. حمله ثقيل. . توجد أشياء عارف إنها غلط في البلد إنما مش قادر يحلها. . ثم إن حمله لا يقتصر على حمل وطنه مصر وإنما يمتد ليشمل حمل الأمة العربية كلها.

◆◆ في حديث لك ذكرت أن الرئيس مبارك تعرّض لضغوط من أمريكا وإسرائيل لحجبك عن الجمهور؟

■ لست أنا من قال ذلك. ولكن أنيس منصور هو الذي قال: أوقفوا هذا الرجل وإلاّ أوقفنا العلاقات والتطبيع، وبعدما كانت أحاديثي تبث أربع مرات في الأسبوع قُلِّصت إلى مرة واحدة فقط

◆◆ الإغتراب إلي يعيشه الإنسان في إطار ما يُقال من أنّ أعمدة الحياة لن تتصدّعْ إذا اعتزلها إنسان أو نُحيّ عنها؟

■ الشعور بالاغتراب يأتي إذا إنصرف المرء عن خالقه. من له رب لا يحمل هماً. .

◆◆ رؤيتكم بالنسة للصحافة في مصر؟

■ لست راضياً عنها لأنّها تزين للجمهور ما يحب. وأتمنى أن تكون بالصحافة جرعة مُرّةٌ وإنْ كرهها القارئ.

◆◆ الأزمة التي نعانيها اليوم هي عدم القدرة على الحل. وأتساءل: كيف نُخرج المجتمع الجديد من القديم، كيف يمكن أن نساعد على عملية التطوير؟

■ عدم القدرة علي الحل يأتي عندما تكون هناك فجوة بين الأمل والجهد المبذول. ولو عاش المرء على قدر إمكانياته قد يصل إلى أكثر مما يحلم. ولكن

الإنسان لا يتمتع بغير ما ينتج. من أراد أن تكـون كلمته من رأسه فلتكن لقمته من فأسه.

◆◆ هل أنت راض عـمّا يـحدث من فـتـاوي كثـيرة يـقوم بهـا الأزهر الشريف؟

■ فليكن لكل مفتي مـا شاء. ولكن العبرة في النهـاية بمن يطبق ـ فهو الذي يملك أن ينفذ أو لا ينفذ.

◆◆ وكثرة الفتوى ؟

■ ليس لي شغل بكثرة الفتوى. فـاللّه هو المُطَّلع. . لقد قال الرسول ـ ﷺ ـ: «استفت قلبكَ وإنْ أفتوكَ وإن أفتوكَ وإن أفتوكَ» ـ ثلاث مرات معناه أنّ هناك إسهال فتاوي، فكأنّه يقول: أنت الحاكم لترى ما الذي تطمئن إليه نفسك فتأخذ به. والتطبيق هو الأساس.

◆◆ في الوقت الذي انحلَّت فـيـه الأسرة كـخلية تـربية انحلَّت المدرسـة كوسيلة تربية وضاع الطفل بين أسرة ومـدرسة مفترضين ـ وتكفلت مسلسلات التليفزيون والشلة والنادي بتربيته.

■ لماذا؟ لأنَّ المرأة تركت مهمتها الأساسية وهي البيت، المجتمع يجري ويلهث وراء المادة التي لم يعد لها معنـى. والمرأة تلهث. وتتهافت علي العمل لأنّ كل محارمها فيهم خور الرجولة، إنّ كل واحد يترك محارمه تخرج للعمل نقول له: خسئت يا نذلَ. لقـد راعى اللّه هذه النقطة فقال: ﴿فَسَقَى لـهُما﴾. مشيراً بذلك إلى قـصة سيدنا موسى في مدين عندما سـقى لابنتي شعيب عليه السلام.

◆◆ هل فقدت الأمل في تغيير المجتمع؟

■ لا. لم أفـقـد الأمـل؛ لأنّ الذي يملك كل شيءٍ وهـو اللّه لا يزال موجـوداً. إن اللّه لا يسلم الحق ولكنْ يُفَرِّقَـهُ ليَبْلُوَ غَـيْرَةَ الناس عليـه فإذا لم يَغَارُوا عليه غَارَ هو عليه ـ وفي النهاية هو الحق.

* * *

المحتويات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٠٩٧٨ / ١٩٩٧م



سناء السعيد

الشعراوي بين السياسة والدين

.... علينا أن نطلب من الحاكم أن يحكمنا ونحاول أن نحتويه.

.... السمع والطاعة واجبة عندما يجد المرء أنَّ الحاكم ليس متميزاً عنه في شئ.

.... لو عرف الظالم ما أعدَّه ألله للمظلوم لبخل عليه بالظلم.

.... الدنيا كلها يجب أن تُحْكم بالإسلام.

.... قلت لمبارك: حادثة أديس ابابا تُعتبر زلزلة لك لتتحرَّك من بشريَّتك المطلقة إلى عبوديتك المطلقة لله.

.... خروج المرأة للعمل هروب من مهمتها الأصلية. النساء يخرجن لهدم المجتمع لا لبنائه

.... الإسلام جاء بقوته ليحمي حرية اختيار الفرد

تعبيرات للداعية متولي الشعراوي تَحْمل منهجه في الحياة وترسم رؤاه وتُوضِّح ما يُؤمن به وما لا يؤمن به: الحكم ليس مطلبه.. والإسلام مبتغاه.. وكلمة الحق مراده. ويمكن للقارئ أن يتلمس الدليل ويعثر على حل مشاكله عبر شروح وتفسيرات الداعية الكبير الذي لم يترك مجالاً إلاَّ طرقه ولا أزمة إلاَّ حاول أن يجد لها مخرجاً....